فوزي آل سيف

# تأملات في آيات الظهور
# دعاء الندبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة

والسلام على محمدٍ وآله الطاهرين

# المقدمة

يتناول دعاء الندبة في مضمونه جانبا من حركة الأنبياء عليهم السلام ورسالتهم التغييرية ولماذا جرى تاريخ المرسلين بذلك النحو، من البلاء والمعاناة ، ثم يتناول معرفة النبوة وصفات النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصه ، ثم يلقي بضوء على معرفة الإمامة وموقف الأمة من الإمامة والأئمة، وأخيرا يأخذ الدعاء الداعي متطلعا إلى غد مشرق سيصنعه القائد المصلح، والمنتظر من قبل البشر ويهيئ هذا الداعي نفسه لكي يكون في ركاب تلك النهضة التغييرية العالمية الشاملة، جنديا مدافعا وعاملا مخلصا.. وهو ـ إلى تحقق هذا الوعد الإلهي الذي قطعه الله سبحانه للذين آمنوا ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[1] ـ مرابط على طريق الطاعة، ومنتظر انتظاراً إيجابياً فاعلا.

وقد كانت هذه الصفحات في الأصل، خطابات في عشرة المحرم من سنة ١٤٢٤هـ، تناولت التأمل في دعاء الندبة باعتباره أحد مناهج التثقيف والتعبئة العقدية ـ كما يرى المؤلف ـ .

---

(١)سورة النور الآية٥٥.

وبعد نهاية تلك المحاضرات رغب بعض وأصر آخرون على كتابتها وطباعتها، فكان هذا الأمر، ولكن بعد سنتين، حيث قمت فيها بإعادة صياغة كاملة، للموضوع فكان هذا الذي بين يديك.

أسأل الله سبحانه أن ينفع به من يقرأه وأن ينفعني به دنيا وآخرة، وأن يجعل من ثوابه ثوابا لوالدي الحاج محمد تقي ووالدتي الراحلة رحمهما الله ، إنه على كل شيء قدير.

ولا أنسى من الشكر والدعاء ـ إن شاء الله ـ من ساعد في إنجاز هذا الكتيب وغيره وأخص منهم الأخ طارق و الدكتور حسن، فجزاهما الله خيرا.

فوزي آل سيف

تاروت ـ القطيف ـ شرق السعودية

١٤٢٦/٣/٨هـ

## الدعاء بين نظرتين

هناك نظرتان يمكن لنا أن نلحظهما في قراءة الناس للـدعاء، وتعاملهم معه:

١. النظرة التعبدية للدعاء: وترى الدعاء عبارة عن أذكار وأقوال تقرأ وتقال لكي يحـصل الإنـسان علـى ثـواب وأجـر عظـيم في الآخرة، وهذه النظرة وإن كانت تحقق درجة مـن عطـاء الـدعاء، وفوائده إلا أن فيها من الآثار غير الإيجابية ما يلي:

- حرمان الإنسان من التأمل في المضامين الرفيعـة والعاليـة الموجودة في الأدعية والأذكار.. إن من (يتلو) القرآن لا شـك يحصل على ثواب كبير، ومـن (يحفـظ) آياتـه يحـصل علـى مراتب أخروية عالية، ولكن من (يتدبر) القرآن يـستطيع أن يكسر الأقفال التي أوصدت على فكره وفكره آفاق التأمـل العقلي، ورحاب الحياة الفكرية الفـسيحة. ومـن (يتعقـل) الآيات يـستطيع بواسـطتها أن يكـشف الظلمـات الـتي لا تُكشف إلا به.

وكذا الحال في الدعاء فـإن فيـه كنـوزا مـن المعرفـة الدينيـة والحياتية، بل يمكن القـول بثقـة وجـزم أن الـدعاء يـشكل مدرسة تربوية شاملة في كل فنون المعرفة المذكورة، ففيه من

معارف التوحيد، مـا لا يحتويـه ـ بـشموله وتنوعـه ـ نـص آخر، وفيه من معارف النبوة والإمامة الشيء الكـثير، وفيـه من تفاصيل التربية الأخلاقية والتهذيب النفسي مـا تقـصر عنه باقي المناهج التربوية ، وفيه من الوعي بالثقافـة الدينيـة ما يحتاجه الإنسان المؤمن.

- ولهذا فإن اقتصار الداعي علـى مجـرد (تـلاوة) الألفـاظ، و(قراءة) الحروف، و(إكمال) الدعاء إلى نهايته حتى لـو كـان بالصوت الحسن، بالرغم من أنه سيكسبه ثوابا وأجرا ذلـك أنه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾[١]، وقانون الله أنـه: ﴿لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾[٢].

- تستثير هذه النظرة عـددا مـن الأسـئلة منـها مـا يـرتبط بالمناسبة بين قراءة الـدعاء وتلاوتـه أو الـذكر وقولـه وبـين الثواب الكبير الذي وُعد به قارئـه، فكيـف يمكـن التوفيـق بينهما؟ وربما يحل البعض المسألة بالتعبد مرة أخـرى قـائلا إن الله كريم ولا تنقص خزائنه، وما دام قد وعد بإعطاء هذا الثواب فما المانع منه؟ لكن يبقى السؤال عالقا.

- هذه النظرة غير قادرة على استقطاب مجاميع كـثيرة مـن الناس لا يسلكون مسلك التعبد في كل الأمور وإنما يريدون أن يُقرب الأمـر الـديني إلـيهم بمـا يتنـاغم مـع المرتكـزات العقلائية والعرفية.

---

(١)سورة الزلزلة الآية ٧.

(٢)سورة آل عمران الآية ١٩٥.

٢. القراءة التأملية الواعية: وتنطلق من فكرة أن العبادات ـ ومنها الدعاء ـ بالإضافة إلى كونها تحقق للإنسان الجزاء الموعود به في يوم القيامة، فإنها تقوم بدور مهم في تربية الفرد والمجتمع للوصول إلى الكمال البشري الممكن. في هذه الدنيا، ومن المعلوم أن ديننا يريد إعمار آخرة الإنسان وإسعاد دنياه..

تلك العبادات (الصلاة والصيام والحج والزكاة) قد شرعت من أجل تحقيق أهداف في دنيا المسلم، وليست أمرا أخرويا محضا، فإن منها ما ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1]، وما هو ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾[2]، ومنها ما ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[3]، ومنها ما يحقق ـ بمعنى له قابلية ذلك تحقيق ـ التقوى، والهداية، والرشد، والفلاح، والتعقل، ولقد تحدث القرآن الكريم في ما يقارب مئة موضع عن حكمة وغاية تشريع تلك العبادات[4]..

---

(١)سورة العنكبوت الآية ٤٥.

(٢)سورة التوبة الآية ١٠٣.

(٣)سورة التوبة الآية ١٠٣.

(٤) ـ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٧٩)

ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣)

ـ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٣٠)

ـ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٢)

ـ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة:٩٠)

ـ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج:٧٧)

وأما الأحاديث فقد تعرضت لذلك بنحو أكثر تفصيلا[١]..ولهذا تم التأكيد عليها.. فهذا الكم الهائل من الأدعية التي تتوزع على مختلف الأزمنة والحالات، والمناسبات. بل الكثير منها من غير مناسبة. فهناك من الأدعية ما هو خاص بأيام الأسبوع، ومنها ما يقرأ في كل يوم، ومنها ما هو في أيام وليال خاصة في السنة: كأيام الجمع ولياليها، وليالي النصف من رجب وشعبان، والقدر، ومنها ما خاص بأيام شهر رمضان، ومنها ما وقته بعد الصلاة كتعقيبات يومية، ومنها ما هو بلا مناسبة أو زمان.

ومنها ما يرتبط بحال الداعي، وتغير أوضاعه، فهذه مناجاة الشاكرين، وتلك مناجاة الشاكين، وإلى جانبها مناجاة المفتقرين، وهكذا[٢]..

---

ـ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٦)

(١)يمكن مراجعة كتاب علل الشرائع للشيخ الصدوق رحمه الله فإن قسما منه يتعرض إلى حكمة تشريع العبادات. وعلى سبيل المثال ما ورد في خطبة سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام: كما نقله ابن منظور في بلاغات النساء ص ١٦: ففرض الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك والصلاة تنزيها عن الكبر والصيام تثبيتا للإخلاص والزكاة تزييدا في الرزق والحج تسلية للدين والعدل تنسيقا للقلوب وطاعتنا نظاما وإمامتنا أمنا من الفرقة وحبنا عزا للإسلام والصبر منجاة والقصاص حقنا للدماء والوفاء بالنذر تعرضا للمغفرة وتوفية المكاييل والموازين تعبيرا للبخسة والنهى شرب الخمر تنزيها عن الرجس وقذف المحصنات اجتنابا للعنة وترك السرقة إيجابا للعفة وحرم الله عز وجل الشرك إخلاصا له بالربوبية.

(٢)هناك خمسة عشر مناجاة معروفة عن الإمام زين العابدين/ يراجع الصحيفة السجادية.

هذا كله لا يمكن أن يكون المقصود منه قراءة تعبدية، المهم فيها هو تلاوة الحروف، و(آخر الدعاء) وإنما المقصود هو تلك القراءة الواعية المتأملة في المضامين، فإذا وقف الإنسان يقرأ دعاء عرفة تجلى بين يديه تلك الصور العظيمة، وإذا قرأ المناجاة وضع نفسه على منصة الاعتراف. وإذا قرأ دعاء كميل كان كمن قد أمر به إلى النار وهو ينادي (أين كنت يا ولي المؤمنين..).

إن تعدد المضامين الموجودة في الأدعية بحيث يحق ـ بجزم ـ أن نقول أنها مدرسة تربوية وعقدية وأخلاقية متكاملة كما سيأتي الكلام عنه.. يجعل هذه القراءة هي القراءة المطلوبة.

وضمن هذه الرؤية نفهم ما قام به زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية، ونفهم التوجيهات الكثيرة التي تنبه على أهمية موقع تلك الأدعية، وكذا الزيارات.

**الجمع أو التخيير؟**

ربما يستشكل البعض أو يتساءلون: كيف للإنسان الذي يعيش ضمن أوضاع الحياة المعاصرة بما هي عليه من التعقيد، والحاجة إلى استفراغ الجهد، للحصول على التقدم والنجاح في الحياة، فإذا تصورنا شخصا يريد أن يلتزم بقراءة الأدعية الموجودة في (مفاتيح الجنان) مثلا، ويقوم بالأعمال المذكورة فيه، فإن عليه أن لا يعمل شيئا غير ذلك لكثرة تلك الأعمال.. وهذا يعني أن يتعطل عن حياته ومعاشه.. وهذا غير ممكن أولا، وهو مخالف لطريقة الإسلام في توجيه المسلم نحو الفاعلية وبناء الحياة ثانيا؟

والجواب عن ذلك: أنه تارة يكون المقصود من الأعمال هو

الجمع بينها مثلما هو الحال في الواجبات العينية، فالمسلم مـأمور بالـصلاة اليوميـة، إلى جانـب كونـه مـأمورا بالـصيام في شـهر رمضان، ودفع خمس أمواله أو زكاته في نفس الوقت، وربما نفس اليوم.

وتارة أخرى يكون الأمر على نحو التخيير والبـدل، وغالـب المستحبات هو من هذا النوع. فإنه ليس مطلوبا أن يقوم الإنسان بـ (كل المستحبات) إذ مـن المعلـوم عـدم قدرتـه ـ الاعتياديـة ـ عليهـا، ومزاحمتـها لمعاشـه الواجـب تحـصيله، بـل للواجبـات الأخرى!!

ومن الواضح أنه لو تعارضت تلك المستحبات مع واجـب، فلا شك يتقدم الواجب عليها، وتتراجع تلك المستحبات، سواء كان ذلك الواجب عباديا أو معاشيا، وأمـا مـع تزاحمهـا ـ علـى القول به ـ فيما بينها فيقدم الأهم منها، أو يتخير.

ولقد لاحظنا في سيرة المعصومين عليهم السلام كيف أنهم حققوا في أنفسهم تلك الدرجات العاليات من التعبد والتهجد، والمناجـاة ولم يؤثر ذلك على أدوارهم الحياتية، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهـو مؤسس تلك الدولة، ونبي هذه الأمة، و(الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله)، ومع ذلـك كـان مـن العبـادة والتهجد والدعاء ما أخبر عنه القـرآن الكـريم ﴿إِنَّ رَبَّـكَ يَعْلَـمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾[1].
وأما أمير المؤمنين عليه السلام، وهـو المقاتـل الـذي (ترجـف الأرض

(١)سورة المزمل الآية ٢٠.

خيفة إذ يطاها)، فهو ذلك العابد المتبتل، الذي (ما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبها به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام، ولقد دخل أبو جعفر عليه السلام ابنه عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه، أحد، فرآه قد اصفر لونه من السهر، ورمصت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته، وانخرم أنفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة، وقال أبو جعفر عليه السلام فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء، فبكيت رحمة له، فإذا هو يفكر فالتفت إلي بعد هنيهة من دخولي، فقال: يا بني، أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام، فأعطيته فقرأ فيها شيئا يسيرا، ثم تركها من يده تضجرا، وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام[1]!

ولنعرف عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ننظر إلى حديث زين العابدين عنها فقد قال: وقد سئل كيف كانت عبادته بالنسبة لعبادة جده علي بن أبي طالب، فقال: عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2].

فهؤلاء الصفوة مع كونها أعبد من في الأرض إلا أنهم قاموا بأدوارهم الحياتية، ومسئولياتهم الاجتماعية خير قيام.

---

(١)وسائل الشيعة ١/٩١.

(٢)ينابيع المودة للقندوزي/ ٤٥٣.

## تأكيد القرآن والمعصومين على الدعاء

أول ما نطالع في هذا المجال من الآيات الشريفة قوله تعالى:

- ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾(١).
- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٢).
- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٣).

والآيات محكمة واضحة المعاني، مبينة لزوم الاهتمام بالدعاء. وأما كلمات المعصومين، فلو أردنا استقصاءها لخرجنا عن الغاية من وضع هذا الفصل، لكننا نتعرض إلى جانب منها.

ـ فعن رسول الله ﷺ: يدخل الجنة رجلان كانا يعملان عملا واحدا، فيرى أحدهما صاحبه فوقه، فيقول: يا رب بما أعطيته وكان عملنا واحدا؟ فيقول الله تبارك وتعالى: سألني ولم تسألني.

ـ وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام ـ في وصيته لابنه

(١)سورة الفرقان الآية ٧٧.
(٢)سورة غافر الآية ٦٠.
(٣)سورة البقرة الآية ١٨٦.

الحسن عليه السلام: اعلم أن الذي بيده خزائن ملكوت الدنيا والآخرة قد أذن لدعائك، وتكفل لإجابتك، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وهو رحيم كريم، لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه... ثم جعل في يدك مفاتيح خزائنه بما أذن فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب خزائنه.

- وعنه عليه السلام: أكثر الدعاء تسلم من سَورة الشيطان.

- وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل العبادة الدعاء، فإذا أذن الله للعبد في الدعاء فتح له باب الرحمة، إنه لن يهلك مع الدعاء أحد.

- وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم، ويدر أرزاقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: تدعون ربكم بالليل والنهار، فإن سلاح المؤمن الدعاء.

- عن عمر بن يزيد: سمعت أبا الحسن (الكاظم) عليه السلام يقول: إن الدعاء يرد ما قد قدر وما لم يقدر، قلت: ما قد قدر عرفته فما لم يقدر؟ قال: حتى لا يكون.

- الإمام الحسن عليه السلام: ما فتح الله عز وجل على أحد باب مسألة فخزن عنه باب الإجابة.

وينبغي أن توضع هذه الأحاديث الشريفة ضمن الرؤية الإسلامية العامة، وأن تُجمع إلى جانب أمثالها من الروايات، فلا تؤخذ على إطلاقها، بحيث تستجاب من كل أحد وفي كل

وقت، وبالنسبة لكل حاجة، وبأي طريقة، وإنما لا بد من تقييدها، وهذا ما يسمى:

**شرائط استجابة الدعاء**

ـ فعن الرسول ﷺ: الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر.

ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام: وقد سئل عن قول الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم لا تفون لله بعهده وأن الله يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ والله لو وفيتم لله لوفى الله لكم!

ـ كما أن هناك من الروايات ما تقيد إجابة الدعاء بطيب المكسب والمأكل، فعن رسول الله ﷺ: إن العبد ليرفع يده إلى الله ومطعمه حرام، فكيف يستجاب له وهذا حاله؟

ولذا أمر من قال له: أحب أن يستجاب دعائي: طهر مأكلك ولا تدخل بطنك الحرام.

ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام:إذا أراد أحدكم أن يستجاب له فليطيب كسبه وليخرج من مظالم الناس، وإن الله لا يرفع دعاء عبد وفي بطنه حرام أو عنده مظلمة لأحد من خلقه.

ومنها أيضا ما يؤكد استجابة الدعاء بشرط عدم تضاده مع السنن الكونية الثابتة وغير القابلة للتغيير، ومثل ذلك لو كانت استجابة الدعاء مخالفة للحكمة الإلهية، فإن كرم الله في استجابة الدعاء لا يمكن أن ينقض حكمة الله في ثبات الموقف وعدم تغييره،فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: إن كرم الله سبحانه لا

ينقض حكمته، فلذلك لا يقع الإجابة في كل دعوة.

**وللدعاء آداب وسنن:**

منها ما يرتبط بحالة الداعي، وذلك حين يكون متوجها إلى الله منقطعا إليه، فإن تلك الحالة لما كانت محققة لغرض الدعاء فإنها أرقى درجات العبادة، بل هي الرحمة:

- فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة.

- وعن حفيده الإمام الصادق عليه السلام: إذا اقشعر جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك فدونك دونك فقد قصد قصدك.

ومنها ما يرتبط بكيفيات الدعاء مثل البسملة، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم.

ومنها تمجيد الله والثناء عليه قبل الطلب منه فـ (إن كل دعاء لا يكون قبله تمجيد فهو أبتر).

وذلك (إن المدحة قبل المسألة، فإذا دعوت الله عز وجل فمجده قلت: كيف أمجده؟ قال: تقول: يا من هو أقرب إلي من حبل الوريد، يا من يحول بين المرء وقلبه، يا من هو بالمنظر الأعلى، يا من ليس كمثله شيء) كما في الرواية عن أمير المؤمنين.

وبعد ذلك لا بد من الصلاة على محمد وآله الهداة الطيبين اعترافا بفضله وفضلهم، وتركيزا للاعتقاد بهم، وتأكيدا على الولاء لهم، وطلبا من الله في رفع منزلتهم، فإن تقديم الصلاة عليهم أول الدعاء جدير بأن يحقق الإجابة الإلهية، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: لا يزال الدعاء محجوبا حتى يصلى

على محمد وعلى آل محمد.

ـ وعنه أيضا: من كانت له حاجة إلى الله ﷻ فليبدأ بالصلاة على محمد وآله، ثم يسأل حاجته، ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد، فإن الله ﷻ أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذ كانت الصلاة على محمد وآل محمد لا تحجب عنه.

كما أن التوسل والاستشفاع لدى الله بأوليائه المقربين من عوامل استجابة الدعاء، فيقول الداعي كما هو المأثور: اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك وحجبت دعائي عنك فصل على محمد وآل محمد، واستجب لي يا رب بهم دعائي.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: إذا كانت لك حاجة إلى الله فقل: اللهم إني أسألك بحق محمد وعلي فإن لهما عندك شأنا من الشأن[1].

(١)الأحاديث من ميزان الحكمة للري شهري ٢/٨٧٧..

## دور الدعاء في العقيدة والعبادة والأخلاق

أول الغايات لخلق الإنسان هي المعرفة فمن دون المعرفة لا تستطاع العبادة، وقد ورد في الحديث عن الصادق عليه السلام ناقلا ذلك عن جده الحسين عليه السلام قال: خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه[1].

وتحيط تلك المعرفة بأصول العلم المطلوب من الإنسان تعلمها فقد «وجدت علم الناس كله في أربع: أولها أن تعرف ربك، والثاني أن تعرف ما صنع بك، والثالث أن تعرف ما أراد منك، والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك.»[2] كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام.

وقد علق الشيخ المفيد رحمه الله[3] على هذه الرواية بقوله:

---

(١)علل الشرائع ـ الشيخ الصدوق ج ١ ص ٩.

(٢)الكافي ـ الشيخ الكليني ج ١ص ٥٠.

(٣)الشيخ المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ = ٩٤٧ ـ ١٠٢٢م) محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، يرفع نسبه إلى قحطان، أبو عبد الله، المفيد، ويعرف بابن المعلم: محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف في الأصول والكلام والفقه. ولد في عكبرا (على

وهذه أقسام تحيط بالمفروض من المعارف، لأنه أول ما يجب على العبد معرفة ربه ـ جل جلاله ـ فإذا علم أن له إلها، وجب أن يعرف صنعه إليه، فإذا عرف صنعه عرف به نعمته، فإذا عرف نعمته وجب عليه شكره، فإذا أراد تأدية شكره، وجب عليه معرفة مراده ليطيعه بفعله، وإذا وجب عليه طاعته، وجب عليه معرفة ما يخرجه من دينه ليجتنبه فتخلص له طاعة ربه وشكر إنعامه[1].

وبقدر ما ورد في الروايات أحاديث عن توحيد الله وصفاته، وعظمته فقد ورد في الأدعية نظير ذلك بل ربما يزيد عليه، وذلك أن الأدعية ـ هي ـ روايات أيضا ولذا كانت تقع في طريق استنباط الأحكام، أو الاستدلال على بعض العقائد إذا اجتمعت فيها شرائط الحجية من حيث السند والطريق.

فانظر إلى هذا الدعاء من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية:

---

عشرة فراسخ من بغداد) ونشأ وتوفي ببغداد. له نحو مئتي مصنف، منها (الأعلام فيما اتفقت الإمامية عليه من الأحكام ـ ط) و (الإرشاد ـ ط) في تاريخ النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والزهراء والأئمة، و (الرسالة المقنعة ـ ط) فقه، و (أحكام النساء ـ خ) و (أوائل المقالات في المذاهب والمختارات ـ ط) و (الأمالي ـ ط) مرتب على المجالس، و (نقض فضيلة المعتزلة) و (إيمان أبي طالب ـ ط) رسالة، و (أصول الفقه) و (الكلام في وجوه إعجاز القرآن) و (تاريخ الشريعة) و (الإفصاح ـ ط) في الإمامة. كما ذكر ذلك الزركلي في الأعلام ـج ٧ ص ٢١.

(١)الإرشاد ٢٠٣/٢.

«الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين، ابتدع بقدرته الخلق ابتداعا وأخترعهم على مشيته اختراعا، ثم سلك بهم طريق إرادته وبعثهم في سبيل محبته، لا يملكون تأخيرا عما قدمهم إليه ولا يستطيعون تقدما إلى ما أخرهم عنه، وجعل لكل روح منهم قوتا معلوما مقسوما من رزقه، لا ينقص من زاده ناقص، ولا يزيد من نقص منهم زائد، ثم ضرب له في الحياة أجلا موقوتا، ونصب له أمدا محدودا، يتخطى إليه بأيام عمره، ويرهقه بأعوام دهره، حتى إذا بلغ أقصى أثره، واستوعب حساب عمره، قبضه إلى ما ندبه إليه من موفور ثوابه، أو محذور عقابه، ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى..» إلى آخر دعائه الشريف..

ونحن هنا لسنا في صدد شرح هذه الأدعية وما اشتملت عليه من مضامين عقائدية عالية، ولكننا نريد الاستشهاد فقط على دور الدعاء في صناعة المعرفة.

وكان الدعاء سبيلا للتعريف بالنبوة والإمامة، وصفات كل من النبي ﷺ والإمام عليه السلام، فنحن نجد في الدعاء الثاني من الصحيفة السجادية، ما يتحدث عن النبي محمد ﷺ مبينا دوره وجهاده في نصر الدين وإقامة الشريعة:

«اللهم فصلِّ على محمد أمينك على وحيك، ونجيبك من خلقك، وصفيك من عبادك، إمام الرحمة، وقائد الخير، ومفتاح البركة، كما نصب لأمرك نفسه وعرض فيك للمكروه بدنه، وكاشف في الدعاء إليك حامته، وحارب في رضاك أسرته، وقطع

في إحياء دينك رحمه، وأقصى الأدنين على جحودهم، وقرب الأقصين على استجابتهم لك، ووالى فيك الأبعدين وعادى فيك الأقربين، وأدأب نفسه في تبليغ رسالتك وأتعبها بالدعاء إلى ملتك، وشغلها بالنصح لأهل دعوتك، وهاجر إلى بلاد الغربة ومحل النأي عن موطن رحله، وموضع رجله، ومسقط رأسه، ومأنس نفسه، إرادة منه لإعزاز دينك، واستنصارا على أهل الكفر بك، حتى استتب له ما حاول في أعدائك واستتم له ما دبر في أوليائك، فنهد إليهم مستفتحا بعونك، ومتقويا على ضعفه بنصرك، فغزاهم في عقر ديارهم، وهجم عليهم في بحبوحة قرارهم، حتى ظهر أمرك، وعلت كلمتك، ولو كره المشركون، اللهم فارفعه بما كدح فيك إلى الدرجة العليا من جنتك حتى لا يساوى في منزلة، ولا يكافأ في مرتبة، ولا يوازيه لديك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وعرفه في أهله الطاهرين وأمته المؤمنين من حسن الشفاعة أجل ما وعدته، يا نافذ العدة، يا وافي القول، يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات إنك ذو الفضل العظيم».

ويعتبر دعاء الندبة ـ الذي نحن بصدد الحديث عنه ـ من أجل ما قيل في معرفة إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وما ورد فيه من الأحاديث، ومن أفضل ما قيل في الاشتياق إلى صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه.

كما يعتبر دعاء الإمام السجاد عليه السلام في عرفة ـ مع ملاحظة المكان والزمان في الأهمية ـ تعريفا كاملا عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين، وتأكيدا على حقيقة أنه لا بد للناس من

إمام منصوب من قبل رب العالمين في كل زمان: فهو عليه السلام يقول بعد أن ذكر النبي محمدا وصلى عليه بما ينبغي له، مذكرا بالعترة الطاهرة، ومبينا فضلهم، ودورهم: ويبين بعد ذلك ما الذي يجب على المؤمن تجاه ولاة أمره الحقيقيين الإلهيين:

«رب صلِّ على أطائب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك وجعلتهم خزنة علمك، وحفظة دينك، وخلفائك في أرضك، وحججك على عبادك، وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيرا بإرادتك، وجعلتهم الوسيلة إليك، والمسلك إلى جنتك، رب صل على محمد وآله صلاة تجزل لهم بها من نحلك وكرامتك، وتكمل لهم الأشياء من عطاياك ونوافلك، وتوفر عليهم الحظ من عوائدك وفوائدك، رب صل عليه وعليهم صلاة لا أمد في أولها، ولا غاية لأمدها، ولا نهاية لآخرها، رب صل عليهم زنة عرشك وما دونه، وملأ سمواتك وما فوقهن، وعدد أرضيك وما تحتهن وما بينهن، صلاة تقربهم منك زلفى، وتكون لك ولهم رضا، ومتصلة بنظائرهن أبدا.

اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علما لعبادك، ومنارا في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك، وجعلته الذريعة إلى رضوانك، وافترضت طاعته، وحذرت معصيته، وأمرت بامتثال أمره، والانتهاء عند نهيه، وألا يتقدمه متقدم، ولا يتأخر عنه متأخر فهو عصمة اللائذين، وكهف المؤمنين، وعروة المتمسكين، وبهاء العالمين، اللهم فأوزع لوليك، شكر ما أنعمت به عليه وأوزعنا مثله فيه، واته من لدنك سلطانا نصيرا، وافتح له فتحا يسيرا، وأعنه بركنك الأعز، واشدد أزره، وقو عضده،

وراعه بعينك، واحمه بحفظك، وانصره بملائكتك وامدده بجندك الأغلب، وأقم به كتابك وحدودك وشرائعك وسنن رسولك صلواتك اللهم عليه وآله، وأحي به ما أماته الظالمون من معالم دينك واجل به صداء الجور عن طريقتك، وأبن به الضراء من سبيلك، وأزل به الناكبين عن صراطك، وامحق به بغاة قصدك عوجا، وألن جانبه لأوليائك وابسط يده على أعدائك، وهب لنا رأفته ورحمته وتعطفه وتحننه، واجعلنا له سامعين مطيعين، وفي رضاه ساعين، وإلى نصرته والمدافعة عنه مكنفين، وإليك وإلى رسولك، صلواتك اللهم عليه وآله، بذلك متقربين»[1]..

وأما دور الدعاء في تحقيق العبودية الكاملة فهذا هو أصل الدعاء، وإلا لم يكن (مخ العبادة) وكما ذكرنا المقصود من ذلك هو أن فيه قابلية ذلك، وشأنية هذا الأداء ولا يضر بعد ذلك أن لا يكون منتجا بالنسبة لزيد أو عمرو أو أننا نرى من يدعو لا يتحقق منه ما ذُكر، فإن التأثير يتوقف على فاعلية المؤثر وقابلية المتأثر مجتمعين، وإلا لم يحدث ذلك التأثير المطلوب.. فهذا القرآن الكريم، كلام الله وكتابه المنزل يصل من التأثير إلى حد أنه ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، لكن آياته النيرات تلك تختلف تأثيراتها بالنسبة للناس بحسب اختلاف قابلياتهم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا

(١)الصحيفة السجادية الكاملة ص ٢٥٣.
(٢)سورة الحشر الآية ٢١.

وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[1].

فالدعاء مؤثر، وفاعل بهذا المقدار..

أول ما يصنعه الدعاء:أنه يوقف الإنسان موقف الحاجة الحقيقية للغني الحقيقي، وموقف الضعف إمام القادر والقوي الذي لا حدود لقدرته، كما لا حدود لضعف الإنسان نفسه، وحاجته.

وهو بهذا يرفع الإنسان من درجة الحاجة إلى الخلائق٢ إلى الحاجة إلى ربهم، ومن استعطائهم إلى استعطافه ﷻ. تأمل في هذه الفقرة من الدعاء:

«اللهم إن تشأ تعف عنا فبفضلك، وإن تشأ تعذبنا فبعدلك، فسهل لنا عفوك بمنك، وأجرنا من عذابك بتجاوزك، فإنه لا طاقة لنا بعدلك، ولا نجاة لأحد منا دون عفوك، يا غني الأغنياء، ها نحن عبادك بين يديك، وأنا أفقر الفقراء إليك، فاجبر فاقتنا بوسعك، ولا تقطع رجاءنا بمنعك، فتكون قد أشقيت من استسعد بك، وحرمت من استرفد فضلك، فإلى من حينئذ منقلبنا عنك، وإلى أين مذهبنا عن بابك، سبحانك نحن المضطرون الذين أوجبت إجابتهم، وأهل السوء الذين وعدت الكشف عنهم، وأشبه الأشياء بمشيتك، وأولى الأمور بك في عظمتك رحمة من استرحمك، وغوث من استغاث بك،

---

(١)سورة التوبة الآية ١٢٤ـ ١٢٥.

٢) بالطبع هذا لا يعني أن يترك الإنسان الأسباب الطبيعية التي سنها الله سبحانه في الكون فإن ذلك أيضا من سؤال الله تعالى.

فارحم تضرعنا إليك، وأغننا إذ طرحنا أنفسنا بين يديك».

وثاني ذلك: أنه يبين له حاجاته الحقيقية ويرشده إلى الكفاح من أجلها، بيده ولسانه وفكره وكل جهده، وإلى الطلب من الله سبحانه أن يوفقه فيها..

ومشكلة الكثير من الناس هي أنهم لا يعرفون حاجاتهم الحقيقية، حتى الدنيوية فضلا عما هي حاجة الدارين «حاجتي التي إن أعطيتنيها لم يضرني ما منعتني وإن منعتنيها لم ينفعني ما أعطيتني أسألك خلاص رقبتي من النار».

بل لو ترك الكثير من غير تعريف لحاجاته، لدعا كما نقل الزمخشري عن أحد الصحابة أنه دعا الله أن يرزقه (ضرسا طحونا، وبطنا كبيرا ودبرا نثورا)!! وهو في الواقع إنما دعا أن تختصر حياته بين (نثيله ـ روثه ـ ومعتلفه).

في المقابل أنت ترى كيف يصعد الداعي بآفاقه ويسمو في فضاءات التكامل مع دعاء مكارم الأخلاق كما نقرؤه عند زين العابدين عليه السلام. وكيف يحذره من مساوئها ويستعيذ بربه من الوقوع فيها:

«اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب وغلبة الحسد، وضعف الصبر، وقلة القناعة، وشكاسة الخلق، وإلحاح الشهوة، وملكة الحمية، ومتابعة الهوى، ومخالفة الهدى، وسنة الغفلة، وتعاطي الكلفة، وإيثار الباطل على الحق، والاصرار على المأثم، واستصغار المعصية، واستكبار الطاعة ومباهات المكثرين والإزراء بالمقلين، وسوء الولاية لمن تحت

أيدينا، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا، أو أن نعضد ظالما، أو نخذل ملهوفا، أو نروم ما ليس لنا بحق، أو نقول في العلم بغير علم ونعوذ بك أن ننطوي على غش أحد، وأن نعجب بأعمالنا، ونمد في آمالنا، ونعوذ بك من سوء السريرة واحتقار الصغيرة، وأن يستحوذ علينا الشيطان، أو ينكبنا الزمان، أو يتهضمنا السلطان، ونعوذ بك من تناول الإسراف، ومن فقدان الكفاف، ونعوذ بك من شماتة الأعداء، ومن الفقر إلى الأكفاء ومن معيشة في شدة، وميتة على غير عدة، ونعوذ بك من الحسرة العظمى، والمصيبة الكبرى، وأشقى الشقاء، وسوء المآب، وحرمان الثواب، وحلول العقاب، اللهم صل على محمد وآله، وأعذني من كل ذلك برحمتك وجميع المؤمنين والمؤمنات، يا أرحم الراحمين».

وأنت ترى أن كل صفة من هذه الصفات هي معيق من معيقات التكامل الأخلاقي، ولولا أن القصد كان الاستشهاد لكان مناسبا أن يكون هناك حديث عن كل صفة وخصلة، لكي يتضح كيف تشد تلك الصفات الشخص المتصف بها إلى الدركات.

في المقابل يبين الدعاء الآخر مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال التي ينبغي للمؤمن أن يتحلى بها، ويسعى إليها:

«اللهم صلِّ على محمد وآله، وبلغ بإيماني أكمل الإيمان واجعل يقيني أفضل اليقين، وانته بنيتي إلى أحسن النيات وبعملي إلى أحسن الأعمال، اللهم وفر بلطفك نيتي، وصحح بما عندك يقيني، واستصلح بقدرتك ما فسد مني، اللهم صل

على محمد وآله، واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غدا عنه، واستفرغ أيامي فيما خلقتني له، وأغنني وأوسع علي في رزقك، ولا تفتني بالنظر، وأعزني ولا تبتليني بالكبر، وعبدني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب، وأجر للناس على يدي الخير ولا تمحقه بالمن، وهب لي معالي الأخلاق، و اعصمني من الفخر، اللهم صل على محمد وآله، ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها ولا تحدث لي عزا ظاهرا إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها، اللهم صل على محمد وآل محمد، ومتعني بهدى صالح لا أستبدل به، وطريقة حق لا أزيغ عنها ونية رشد لا أشك فيها، وعمّرني ما كان عمري بذلة في طاعتك، فإذا كان عمري مرتعا للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إلي، أو يستحكم غضبك علي، اللهم لا تدع خصلة تعاب مني إلا أصلحتها، ولا عائبة أؤنب بها إلا حسنتها، ولا أكرومة في ناقصة إلا أتممتها اللهم صل على محمد وآله وسددني لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافي من قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضى عن السيئة، اللهم صل على محمد وآله، وحلني بحلية الصالحين، وألبسني زينة المتقين، في بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة وضم أهل الفرقة، وإصلاح ذات البين، وإفشاء العارفة، وستر العائبة، ولين العريكة، وخفض الجناح وحسن السيرة، وسكون الريح، وطيب المخالقة، والسبق إلى الفضيلة، وإيثار التفضل، وترك التعيير، والإفضال على غير المستحق، والقول بالحق وإن عز، واستقلال الخير وان كثر من قولي

وفعلي، واستكثار الشر وان قل من قولي وفعلي، وأكمل ذلك لي بدوام الطاعة ولزوم الجماعة، ورفض أهل البدع، ومستعمل الرأي المخترع».

وثالث تلك الأمور، أنه يوقف الداعي على منصة الاعتراف، وهي الخطوة الأولى للتغيير، فما لم يعترف المرء بما كان منه لن يمكن له التخلص منه، و لا تغيير نفسه.

إن أسرع شيء يقوم به الإنسان ـ وذلك ضمن غريزة الدفاع عن الذات ـ أنه ينكر صدور الخطأ منه، حتى أنك لتجد المجرم لا يعترف بجرمه مع كون الدلائل ضده!

ولو أردت أن تختبر هذه الحالة، فقم بتوجيه الاتهام لبعض من تعرف، قائلا له مثلا: إنك سريع الغضب، أو إنك قليل الصبر!! أو غير ذلك.. سوف تجد أن ردة الفعل الأولى عند الأكثر هي إنكار ذلك، ومحاولة إقناعك أن الأمر ليس كما تظن!!

هنا يأتي دور الدعاء ليطوّع الداعي، ويجلسه في محل الاعتراف بذنوبه، ومعاصيه، ويوجهه إلى اتهام نفسه، ثم طلبه من الله أن يغفرها له..

«أنا يا رب الذي لم أستحيك في الخلاء ولم أراقبك في الملاء، أنا صاحب الدواهي العظمى، أنا الذي على سيده اجترى، أنا الذي عصيت جبار السماء، أنا الذي أعطيت على معاصي الجليل الرشا، أنا الذي حين بشرت بها خرجت إليها أسعى، أنا الذي أمهلتني فما ارعويت و سترت علي فما استحييت،

وعملت بالمعاصي فتعديت، وأسقطتني من عينك فما باليت».

- وفي دعاء عرفة:

«ثم أنا يا إلهي المعترف بذنوبي فاغفرها لي، أنا الذي أخطأت، أنا الذي أغفلت، أنا الذي جهلت، أنا الذي هممت، أنا الذي سهوت، أنا الذي اعتمدت، أنا الذى تعمدت، أنا الذي وعدت، أنا الذي أخلفت، أنا الذي نكثت، أنا الذي أقررت، إلهى أعترف بنعمتك عندي، وأبوء بذنوبي فاغفر لي يا من لا تضره ذنوب عباده، وهو الغني عن طاعتهم، والموفق من عمل منهم صالحا بمعونته ورحمته، فلك الحمد إلهي أمرتني فعصيتك، ونهيتني فارتكبت نهيك، فأصبحت لا ذا براءة فأعتذر، ولا ذا قوة فأنتصر، فبأي شيء أستقبلك يا مولاي، أبسمعي أم ببصري أم بلساني أم برجلي؟ أليس كلها نعمك عندي، وبكلها عصيتك يا مولاي».

### الدعاء لغير الذات

إن من الطبيعي أن يدعو الإنسان لنفسه، وذلك لأن المرء مفطور على جلب النفع لذاته، والخير لها، ولكن الأدعية المروية عن العترة تعلم الإنسان كيف يدعو ويلح على الله سبحانه وتعالى في تحصيل الخير للغير، والدعاء لغيره، وفي هذا من النواحي التربوية ما لا يخفى حيث يتعود الإنسان من خلاله على تذكر من عداه واختصاصهم بدعاه، والتفكير في الخير لهم، بل السعي في تحصيله لأجلهم ولو من خلال الطلب من الله سبحانه.

وفي هذا الصدد فإن هناك الأدعية التي توجه إلى الصلاة على النبي محمد وآله عليهم السلام. وهي أيضا فيها جانب ولائي وتركيز للقيادة الحقة في نفوس الناس.

فانظر إلى هذا الدعاء والصلاة على النبي التي يعلمنا إياها الإمام الصادق عليه السلام بعد صلاة العصر، فإنه بعد أن يعتذر لله بأنه لن يستطيع أن يوفي النبي حقه وأنها لا تبلغ رضا نفسه ولا يفي كلامه بما في ضميره، ولكنه لا يلام على التقصير في هذا، بقوله:

«إني أبدأ بالشهادة له ثم بالصلاة عليه وإن كنت لا أبلغ من ذلك رضا نفسي ولا يعبره لساني عن ضميري ولا ألام على التقصير مني لعجز قدرتي عن بلوغ الواجب علي منه لأنه حظ لي وحق علي وأداء لما أوجبت له في عنقي..»، بعد ذلك ينطلق في الصلاة عليه بهذا النحو: «... اللهم واجعل صلواتك وغفرانك ورضوانك ومعافاتك وكرامتك ورحمتك ومنك وفضلك وسلامك وشرفك وإعظامك وتبجيلك وصلوات ملائكتك ورسلك وأنبيائك والأوصياء والشهداء والصديقين وعبادك الصالحين وحسن أولئك رفيقا وأهل السموات والأرضين وما بينهما وما فوقهما وما تحتهما وما بين الخافقين وما بين الهواء والشمس والقمر والنجوم و الجبال والشجر والدواب وما سبح لك في البر والبحر وفي الظلمة والضياء بالغدو والآصال وفي آناء الليل وأطراف النهار وساعاته على محمد بن عبد الله سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين ومولى المؤمنين وولي المسلمين وقائد الغر المحجلين ورسول رب العالمين إلى الجن والإنس والأعجمين و الشاهد البشير الأمين

النذير الداعي إليك بإذنك السراج المنير. اللهم صل على محمد وال محمد في الأولين، اللهم صل على محمد وال محمد في الآخرين، وصل على محمد وال محمد يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين، اللهم صل على محمد كما هديتنا به، اللهم صل على محمد كما استنقذتنا به. اللهم صل على محمد كما أنعشتنا به، اللهم صل على محمد كما أحييتنا به، اللهم صل على محمد كما شرفتنا به، اللهم صل على محمد كما أعززتنا به، اللهم صل على محمد كما فضلتنا به. اللهم اجزِ نبينا محمدا ﷺ أفضل ما أنت جاز يوم القيمة نبيا عن أمته ورسولا عمن أرسلته إليه، اللهم اخصصه بأفضل قسم الفضائل وبلغه أعلى شرف المنازل من الدرجات العلى في أعلي عليين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، اللهم! أعط محمدا ﷺ حتى يرضى وزده بعد الرضا واجعله أكرم خلقك منك مجلسا وأعظمهم عندك جاها وأوفرهم عندك حظا في كل خير أنت قاسمه بينهم، اللهم! أورد عليه من ذريته وأزواجه و أهل بيته وذوي قرابته وأمته من تقر به عينه وأقرر عيوننا برؤيته ولا تفرق بيننا وبينه، اللهم صل على محمد وال محمد وأعطه من الوسيلة والفضيلة والشرف والكرامة ما يغبطه به الملائكة المقربون والنبيون والمرسلون والخلق أجمعون. اللهم! بيض وجهه وأعل كعبه وأفلج حجته وأجب دعوته وابعثه المقام المحمود الذي وعدته وأكرم زلفته وأجزل عطيته وتقبل شفاعته وأعطه سؤله وشرف بنيانه وعظم برهانه ونور نوره وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه وتقبل صلاة أمته عليه واقصص بنا أثره واسلك بنا سبيله وتوفنا على ملته واستعملنا بسنته وابعثنا على منهاجه

واجعلنا ندين بدينه ونهتدي بهداه ونقتدي بسنته ونكون من شيعته ومواليه وأوليائه وأحبائه وخيار أمته ومقدم زمرته وتحت لوائه نعادي عدوه ونوالي وليه حتى توردنا عليه بعد الممات مورده غير خزايا ولا نادمين ولا مبدلين ولا ناكثين. اللهم! وأعط محمدا صلى الله عليه وآله وسلم مع كل زلفة زلفة ومع كل قربة قربة ومع كل وسيلة وسيلة ومع كل فضيلة فضيلة ومع كل شفاعة شفاعة ومع كل كرامة كرامة ومع كل خير خيرا ومع كل شرف شرفا، وشفعه في كل من يشفع له في أمته وغيرهم من الأمم حتى لا يعطى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد مصطفى إلا دون ما أنت معطيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيمة، اللهم! واجعله المقدم في الدعوة والمؤثر به في الاثرة والمنوه باسمه في الشفاعة إذا تجليت بنورك وجيء بالكتاب والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين..»[1].

وكذلك عندما يعلمنا الأئمة عليهم السلام كيف ندعو للقائد المعصوم والإمام الحاضر المستور، صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه لكي يتعمق في أنفسنا خط حب الآخرين في مقابل خط الذات، من جهة، ولكي نزداد ولاء للإمام من جهة أخرى، فانظر إلى دعاء العهد الذي يُقرأ بعد صلاة الفجر والذي هو عبارة عن تجديد العهد والبيعة مع الإمام عجل الله فرجه، وانظر إلى دعاء الندبة، وانظر إلى الدعاء المتداول بين المؤمنين في هذا الزمان وقد ذكره في الكافي في أعمال ليالي شهر رمضان، «اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه

(١)مصباح المتهجد- الشيخ الطوسي ص ٣٨٨.

الساعة وفي كل ساعة وليا وحافظا وقائدا وناصرا ودليلا وعينا حتى تسكنه أرضك طوعا وتمتعه فيها طويلا».

### منهج اعتراض

بالإضافة إلى ذلك، الدعاء هو منهج اعتراض سياسي، وتأكيد على خط رسالي محروم من جهة، وإدانة لخط غاصب متمرد من جهة أخرى، فانظر إلى دعاء الإمام عليه السلام في يوم عيد الأضحى وفي أيام الجمعة مما يعني تكرره من حيث الزمان على مدار السنة، وأيضا مما يلفت الانتباه والتأمل في كونه يوم عيد وفرح، وهكذا الحال في مثل دعاء الندبة حيث يستحب في أيام الجمع والعيد! فهو عليه السلام يقول مؤكدا أن مقام الخلافة هو مقام الأئمة عليهم السلام وقد ابتزه غيرهم منهم جورا وظلما.

اللهم إن هذا المقام لخلفائك وأصفيائك، ومواضع أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها وأنت المقدر لذلك، لا يغالب أمرك، ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك كيف شئت وأنى شئت، ولما أنت أعلم به غير متهم على خلقك ولا لإرادتك حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين، يرون حكمك مبدلا، وكتابك منبوذا، وفرائضك محرفة عن جهات أشراعك، وسنن نبيك متروكة، اللهم العن أعدائهم من الأولين والآخرين، ومن رضي بفعالهم وأشياعهم وأتباعهم، اللهم صل على محمد وآل محمد، إنك حميد مجيد، كصلواتك وبركاتك وتحياتك على أصفيائك إبراهيم وآل إبراهيم، وعجل الفرج والروح والنصرة والتمكين والتأييد لهم، اللهم واجعلني من أهل التوحيد والإيمان بك، والتصديق برسولك، والأئمة

الذين حتمت طاعتهم ممن يجري ذلك به وعلى يديه، آمين رب العالمين[١].

ولهذا فإن الداعي هو في حالة انتظار لوضع أفضل، ودولة أكمل، وهو لها ساعٍ، فأنت ترى أن دعاء الافتتاح الذي يقرأ في كل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك ينتهي بعد حمد الله والثناء عليه، وذكر النبي ﷺ والأئمة المعصومين، ينتهي إلى الصلاة على صاحب العصر، وطلب التوفيق إلى دور أساس في الدولة الكريمة المعزة للإسلام والمسقطة للنفاق، فيقول:

«اللهم! وصل على ولي أمرك القائم المؤمل والعدل المنتظر احففه بملائكتك المقربين وأيده بروح القدس يا رب العالمين! اللهم اجعله الداعي إلى كتابك والقائم بدينك استخلفه في الأرض كما استخلفت الذين من قبله مكن له دينه الذي ارتضيته له أبدله من بعد خوفه أمنا يعبدك لا يشرك بك شيئا، اللهم! أعزه وأعزز به وانصره وانتصر به انصره نصرا عزيزا، اللهم! أظهر به دينك وملة نبيك، حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق.

اللهم! إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة، اللهم! ما عرفتنا من الحق فحملناه، وما قصرنا عنه فبلغناه اللهم المم به شعثنا واشعب به صدعنا وارتق به فتقنا وكثر به قلتنا وأعز به ذلتنا وأغن به عائلنا واقض به عن مغرمنا واجبر به فقرنا وسد به خلتنا ويسر به عسرنا وبيض به وجوهنا وفك به أسرنا وأنجح

(١)ن. م ص ٢٨١.

به طلبتنا وأنجز به مواعيدنا واستجب به دعوتنا وأعطنا بـه فـوق رغبتنا يا خير المـسؤولين وأوسـع المعطـين اشـف بـه صـدورنا وأذهب به غيظ قلوبنا واهدنا به لما اختلف فيه من الحـق بإذنـك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، وانـصرنا علـى عـدوك وعدونا إله الحق آمين، اللهم! إنا نشكو إليك فقـد نبينـا وغيبـة إمامنا وكثرة عدونا وشدة الفتن وتظاهر الزمان علينا، فصل على محمد وال محمد وأعنا على ذلك بفـتح تعجلـه وبـضر تكـشفه ونصر تعزه وسلطان حق تظهره ورحمـة منـك تجللناهـا وعافيـة منك تلبسناها..»[1].

(١)مصباح المتهجد- الشيخ الطوسي ص ٥٨٠/ لم نكن في صدد استقصاء ما ورد من الأدعية فإن ذلك يطول ويخرج عن مهمة هذه الصفحات، وإنما كان الغرض هو الاستشهاد، وقد تكون بعض الشواهد غير المذكورة ابلغ وأطول.

## الكلام في سند الدعاء

هل نحتاج إلى تحقيق في سند الدعاء، وأنه مروي عن المعصوم بطريق معتبر؟ أو أننا لا نحتاج إلى ذلك؟

على سبيل المقدمة والمدخل، نشير إلى أن هناك اتجاهين فيما يرتبط بالتحقيق السندي في الروايات التي تقع في طريق الاستنباط الفقهي:

ـ الاتجاه الأول هو مسلك الوثوق السَّنَدي: وملخصه أن الرواية لكي تكون حجة للفقيه، يعتمد عليها ويستدل بها، لا بد أن تكون مروية بطريق معتبر إلى المعصوم. ولهذا فأصحاب هذا المسلك يعلقون أهمية بالغة على علم الرجال ويحرصون عليه.

ـ والاتجاه الثاني هو مسلك الوثوق الصدوري: وملخصه أنه كما يمكن تحصيل اعتبار الرواية من خلال التحقيق السندي والنظر في رجال السند، يمكن أيضا أن يوثَق بصدور الرواية عن المعصوم من خلال قرائن خارجية (ككون الخبر في الكتب الأربعة، وعمل جمهور الأصحاب به، وغيرها) أو داخلية (كمضمون الرواية وعلو معانيه)، ومع حصول هذه القرائن لا مُلزم للنظر في سند الرواية.

ولكل من الاتجاهين مناصرون من أعلام الطائفة قديما وحديثا.

وعلى كل حال فإن هذين المسلكين لهما كبير الأثر في التحقيق والاستنباط الفقهي، لكن لا يوجد لهذا الاختلاف كثير أثر في ما يرتبط بالدعاء. فإنه حتى من يلتزم بمسلك الوثوق السندي في الفقه، لا يصر عليه في الدعاء، وذلك لأن الغاية في الرواية الفقهية هي غير الغاية في الدعاء.

إن الغاية المطلوبة من الدعاء هي التعرض للأجر الذي وُعد به الداعي، أو الاستفادة من مضامينه التربوية والمعرفية، والغاية الأولى، لا تتوقف على كون الدعاء مرويا بطريق صحيح إلى المعصوم. وذلك أن لدينا قاعدة تسمى (قاعدة التسامح في أدلة السُّنن)[1] وملخصها أن الفقهاء استفادوا من بعض الروايات النبوية والواردة عن الأئمة، أن من بلغه ثواب على عمل فعمله العبد رجاء للحصول على ذلك الثواب أعطاه الله إياه وإن لم يكن ما بلغه صحيحا..

وهنا حيث يريد الداعي، الثواب المترتب على قراءة هذا الدعاء، فلا يضره أن يكون السند لهذا الدعاء ضعيفا، إذا أتى بالدعاء برجاء أن يكون قد صدر عن المعصومين عليهم السلام.

وهناك طريق آخر وهو الاستناد على قوة مضامين هذا الدعاء ـ وهو يحقق الغاية الثانية ـ والاطمئنان من خلالها إلى صدوره عن المعصوم، فإن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا، وإن الكلمات تعرب عن مصدرها، فإضافة إلى

---

(١)البعض من الفقهاء استفادوا أن القاعدة تتكفل بجعل الوارد مستحبا ويحكمون باستحبابه، لو ورد به خبر ولو كان ضعيفا.

كون معانيه وربما الكثير من جمله قد وردت في أحاديث أخرى معتبرة فإن نفس الكلمات تنسب نفسها من خلال بلاغتها وقوة مضامينها إلى أهل البيت الطاهرين عليهم السلام.

وعلى أي حال فإن تعامل علمائنا مع هذا الدعاء يشير إلى قبولهم به، وتسالمهم عليه.. خصوصا مع النظر إلى قوة مضامينه وعلو المعاني التي احتواها، مما يصعب على غير من اتصل بالنور الإلهي الإتيان بمثلها، سبكا ومعنى.

فأنت ترى القصيدة المنحولة لبعض الشعراء الكبار فإذا سرحت فيها نظرك تشككت فيها وأعرضت عنها، ورأيت أن مستوى هذه القصيدة لا يرقى إلى مستوى من جعلت باسمه، وإذا نظرت إلى قصيدة أخرى وجدت (لها منها عليها شواهد).

وكذلك الحال عندما تنظر إلى خطبة، أو دعاء أو غيره، فترى على هذا نور النبوة، وضياء الإمامة، وترى الآخر عكرا لا روح فيه، ولا حياة.

ولهذا رأينا علماءنا يتعاملون معه باعتباره نصا صادرا عن الأئمة عليهم السلام، بل رأيناهم يستدلون ببعض فقراته.

فقد ذكر الشيخ المفيد قدس سره فقرة من الدعاء باعتبارها كلام المعصوم في كتابه أوائل المقالات[1] إشارة إلى مختاره في مسألة الاستحقاق والتفضل في النبوة، فقال: وقد أشير إلى بعض ما ذكرنا في دعاء الندبة الشريفة حيث يقول عليه السلام: «..اللهم لك

---

(١)ص٣٠٩.

الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الـذين استخلـصتهم لدينك..».

الجدير ذكره هنا هو أن الشيخ المفيد يروي الدعاء عن محمـد بن الحسين البزوفري[(١)]، الذي أخرجه في كتابه، وتعامـل الـشيخ المفيد ـ وهو من هو في جلالته ـ مع الدعاء باعتباره قـول الإمـام المعصوم مهم جدا.

ومن العلمـاء المتـأخرين يُـذكر الـشيخ الأعظـم الأنـصاري قدس سره[(٢)] حيث استشهد ببعض فقراته وجعلـها محـور الاسـتدلال

(١)ذكره الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب ـ ج ٢ ص ٨١:
(البزوفري) أبو عبد الله الحسين بن علي بن سفيان، من أجلاء الطائفة الإمامية يروي عنه التلعكبري وغيره. قال (جش) شيخ ثقة جليل من أصحابنا، له كتب منها: كتاب الحج وكتاب ثواب الأعمال وكتاب أحكام العبيد، قرأت هذا الكتاب على شيخنا أبي عبد الله، كتاب الرد على الواقفة كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في المشركين اخبرنا بجميع كتبه احمد بن عبد الواحد أبو عبد الله البزاز عنه، انتهى. والبزوفري: نسبة إلى بزوفر، كغضنفر قرية قريبة من واسط في غربي دجلة.
(٢)مرتضى بن محمد أمين الدزفولي الأنصاري (١٢١٤ ـ ١٢٨١ هـ = ١٨٠٠ ـ ١٨٦٤م): فقيه ورع إمامي. كان مقيما في الغري (بالعراق) وتوفي بالنجف. له تصانيف، منها (المكاسب ـ ط) و (الطهارة ـ ط) و (الفرائد الأصولية) و (إثبات التسامح في أدلة السنن ـ ط) وكتاب (الإرث ـ ط) (٣). كما ذكره الزركلي في الأعلام ٧/٢٠١.
يعتبر الشيخ الأنصاري قدس سره المؤسس الحقيقي للمدرسة الأصولية المعاصرة في عالم التشيع ، فإنها وإن كانت لها بدايات على يد الوحيد البهبهاني ، إلا أنها لم تكن لتصل إلى غايتها إلا بتحقيقات الشيخ وتلامذته المباشرين وتلامذة المدرسة تلك .. ولهذا كانت كتبه في الفقه والأصول لا تزال

والنقض والإبرام، فقد قال في بحث المكاسب في بحث أن الأصل في البيع اللزوم، واستدلال البعض على المدعى بـ (المؤمنون عند شروطهم)، قال لا يبعد منع صدق الشرط في الالتزامات الابتدائية بل المتبادر منه الالتزام التابع كما يشهد به موارد استعمال اللفظ.. إلى أن قال:.. وقوله عليه السلام في أول دعاء الندبة «بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا..»[١].

والذين تأخروا عن الشيخ الأنصاري وعلقوا على مكاسبه لم يتوقفوا عند استشهاد الشيخ أو يشكلوا عليه بعدم ثبوت تلك الألفاظ عن المعصوم وإنما ناقشوا في استفادته منها.

وأما الحديث في الطريق الموجود لهذا الدعاء، فأقدم ما رأيت من إشارة إليه هي ما سبق من الشيخ المفيد قدس سره حيث ذكره في كتاب أوائل المقالات، وحيث أن المفيد قد توفي سنة (٤١٣هـ) فيكون بذلك أقدم إشارة إليه. ويؤكد على أن الشيخ المفيد كان يرى صحة طريق هذا الدعاء.

وبعده يكون ما ذكره الشيخ ابن المشهدي[٢] محمد بن جعفر

---

مناهج دراسية في أكثر الحوزات العلمية .

(١)المكاسب ج٥/٢١.

(٢)ذكره الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب ـ ج ١ص ٤٠٩: فقال: (ابن المشهدي) أبو عبد الله محمد بن جعفر بن علي بن جعفر المشهدي الحائري الشيخ الجليل السعيد المتبحر عظيم المنزلة والمقدار مؤلف المزار المشهور الذي اعتمد عليه علماؤنا الأبرار الملقب بالمزار الكبير في بحار الأنوار وله أيضا كتاب بغية الطالب وإيضاح المناسك وكتاب المصباح يروي عن جماعة من الأعلام منهم: ابن البطريق والسيد ابن زهرة وشاذان

بن علي الذي قد يعرف أيضا بالحائري، في كتابه المعروف (المزار الكبير) هو ثاني من نقل: فقد ذكر، ما نصه - بعد أن ذكر بعض الزيارات للإمام صاحب العصر عجل الله فرجه -: الدعاء للندبة: قال محمد بن أبي قرة: نقلت من كتاب أبي جعفر محمد بن الحسين ابن سفيان البزوفري رضي الله عنه هذا الدعاء، وذكر فيه انه الدعاء لصاحب الزمان صلوات الله عليه وعجل فرجه وفرجنا به، ويستحب أن يدعى به في الأعياد الأربعة[1].

ومحمد بن جعفر المشهدي كان عالما فاضلا صدوقا له كتب وقد أكثر السيد بن طاووس النقل عن كتابه. بل رأى بعض العلماء أنه يستفاد من مقدمة كتابه المذكور توثيق من وردت أسماؤهم في كتابه.

وأما محمد بن أبي قرة، وهو (محمد بن علي بن يعقوب بن إسحاق بن أبي قرة)، فقد وثقه النجاشي[2] صريحا.

وأما محمد بن الحسين البزوفري الذي نقل ابن أبي قرة من كتابه فإنه قد صُحح طريق شيخ الطائفة في التهذيب والاستبصار

---

بن جبرائيل القمي والشيخ هبة الله بن نما وأبي عبد الله الحسين ابن جمال الدين هبة الله بن الحسين بن رطبة السوراوي الفقيه الجليل الموصوف في الإجازات بكل جميل والأمير ورام بن أبي فراس وسديد الدين محمود الحمصي الرازي ووالده وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ويروي عنه نجيب الدين بن نما.

(١)المزار- محمد بن المشهدي ص ٥٧٣، ويقصد بالأعياد الأربعة إضافة إلى الفطر والأضحى، الجمعة والغدير.

(٢)رجال النجاشي، رقم ١٠٦٦.

إلى نوادر أحمد بن محمد بن عيسى وفي الطريق محمد بن الحسين البزوفري. وفي ذلك توثيق له. وهو من مشايخ الشيخ المفيد، وأكثر من النقل عنه مما يفيد اطمئنانا بوثاقته. ولنعم ما قال الشيخ المحقق الطهراني[1]:

وأبو جعفر البزوفري ممن لم يذكر ترجمته في الأصول الرجالية، لكنه كان من مشايخ الشيخ السعيد أبي عبد الله المفيد الذي توفي سنة (٤١٣) هـ وتوجد رواية الشيخ المفيد عنه في بعض الأسانيد المذكورة في كتاب الأمالي للشيخ أبي علي الطوسي، فانه يروى الشيخ أبو علي في أماليه مكررا عن ولده الطوسي عن الشيخ المفيد عن أبي جعفر محمد بن الحسين بن سفيان البزوفري. ويظهر وثاقته من إكثار الشيخ المفيد الرواية

---

(١)ذكره الزركلي في الأعلام ـ ج ٥ ص ٢٨٨: فقال:آغا بزرك (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩هـ = ١٨٧٦ ـ ١٩٧٠م) محسن (أو محمد محسن) بن علي بن محمد رضا الطهراني: عالم بتراجم المصنفين، مع كثير من التحقيق والتحري. من أهل طهران. ولد بها وانتقل إلى العراق (١٣١٣هـ) فتفقه في النجف وأجيز بالاجتهاد قبل سن الأربعين. وشارك في قضية الانقلاب الدستوري في إيران. وانتقل إلى سامراء (١٣٢٩ ـ ١٣٥٥) وعاد إلى النجف لمتابعة العمل في تأليف كتبه، إلى أن توفي. وقد أصبح شيخ محدثي الشيعة على الإطلاق، وصدر عنه أكثر من ألفي إجازة في رواية الحديث. من كتبه المطبوعة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) تسعة عشر جزء منه، و (نقباء البشر في القرن الرابع عشر) وهو واحد من ١١ كتابا في التراجم، في وفيات المئة الرابعة الهجرية فما يليها إلى الآن. افرد كل كتاب منه بقرن وباسم، وسمى الجميع (طبقات أعلام الشيعة) صدر منه ستة مجلدات. ومن كتبه المخطوطة (ضياء المفازات في طرق مشايخ الإجازات) و (مشجرة في الأنساب).

عنه مع طلب الرحمة، وان لم يـذكر ترجمتـه في الأصـول الرجاليـة وهو الثاني والأربعون من مشايخ المفيد الذين ذكـرهم شـيخنا في (خاتمة المستدرك ص ٥٢١) وأما والد أبي جعفر هذا وهو الشيخ أبو عبد الله الحسين بن على بن سـفيان ابـن خالـد بـن سـفيان البزوفري فهو شيخ ثقة جليل من أصحابنا كما ترجمه النجاشـي كذلك وذكر تصانيفه التي يرويها عنه التلعكبري والشيخ المفيـد وغيرهما ومنها (ثواب الأعمال) الـذي مـر في (ج ٥ ـ ص ١٧). ويروى الشيخ المفيد عن هذين البزوفريين ـ الوالد[١]..

**الدعاء لمن؟**

عن أي معصوم يروى هذا الدعاء؟

يحتمل في ما نقله صاحب المزار وهو جملـة (وذكـر فيـه انـه الدعاء لصاحب الزمان) شيئان: ـ فقد يكون المقـصود أنـه دعـاء لأجل صاحب الزمان، وبغاية ندبته والتفجع لأجله والطلب مـن الله تعجيل فرجه.. وهذا ما يفهمه الكثير من الجملـة المـذكورة.. فلا بد أن نبحث بعدها عن القائل لهذا الدعاء بهذا الغرض.

ويحتمل أن يكون المقصود من الجملة المذكورة أنه الدعاء هو لصاحب الزمان، أي أن الدعاء دعاؤه، وإنشاؤه ولعـل هـذا هـو الذي استفاده الشيخ القيومي فجعل دعاء الندبة من أدعية الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه وأدرجـه في كتابـه المعـد لأدعيـة الإمام المهدي على أنه (دعاؤه عليه السلام)[٢]. وربمـا يستـشكل علـى

(١)الذريعة ١٩٤/٨.

(٢)صحيفة المهدي للشيخ جواد القيومي ص٢٠٤.

هذا بأن مضامين الدعاء من التشوق والترجي لظهور صاحب العصر لا تنسجم مع كون المنشئ له هو نفسه صاحب الزمان..

ولكن يمكن الإجابة عن هذا بأنه لا مانع من ذلك لو كان الغرض هو التعليم، والإرشاد لكيفية المخاطبة مع الإمام مثلما علمنا رسول الله ﷺ كيفية الصلاة عليه. وكذا ما روي عن الإمام الحجة في تعليم الصلاة على المعصومين بمن فيهم ذاته الشريفة «اللهم وصل على الخلف المهدي إمام المؤمنين ووارث المرسلين وحجة رب العالمين»[1].

لكن يظهر من بعضهم أن الدعاء منسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فقد أشار آية الله اللنكراني في كتابه مناسك الحج[2] إلى ذلك قائلا ـ ما تعريبه ـ: دعاء الندبة: روى الشيخ الجليل محمد بن المشهدي في كتاب مزاره الذي هو من مدارك بحار العلامة المجلسي[3] والسيد بن طاووس في مصباح الزائر

(١)المصدر ص ٣٤: وتتمة ذلك..
اللهم جدد به ما امتحى من دينك، واحيي به ما بدل من كتابك، واظهر به ما غير من حكمك، حتى يعود دينك به، وعلى يديه، غضا جديدا، خالصا مخلصا، لاشك فيه ولا شبهة معه، ولا باطل عنده ولا بدعة لديه. اللهم نور بنوره كل ظلمة، وهد بركنه كل بدعة واهدم بعزته كل ضلالة، واقصم به كل جبار، واخمد بسيفه كل نار، واهلك بعدله كل جائر، واجر حكمه على كل حكم، وأذل بسلطانه كل سلطان. اللهم أذل كل من ناواه، واهلك كل من عاداه، وامكر بمن كاده، واستأصل من جحده حقه، واستهان بأمره، وسعى في إطفاء نوره، وأراد إخماد ذكره.

(٢)مناسك حج (فارسي) ص٢٧٤.

(٣)(المجلسي) * (١٠٣٧ ـ ١١١١هـ = ١٦٢٧ ـ ١٧٠٠م) محمد باقر بن

والميرداماد١ في كتاب الأيام الأربعة، وغيرهم رووا أن الإمام الصادق عليه السلام كان يقرأ دعاء الندبة في أيام عيد الغدير والفطر والأضحى والجمعة.. ثم ذكر الدعاء بنصه.

وذكر مثله الميرزا محمد تقي الاصفهاني في كتابه مكيال

---

محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني: علامة إمامي. ولي مشيخة الإسلام في أصفهان. وترجم إلى الفارسية مجموعة كبيرة من الأحاديث. له (بحار الأنوار ـ ط) ٢٥ جزءا في مباحث مختلفة، و (كتاب العقل والعلم والجهل) و (كتاب التوحيد) و (مرآة العقول ـ ط) و (جوامع العلوم) و (السيرة النبوية) و (الإمامة) و (الفتن والمحن) و (أمير المؤمنين، علي ابن أبي طالب، وفضائله وأحواله) و (تاريخ فاطمة والحسنين) وعدة (تواريخ) للائمة و (السماء والعالم) كبير جدا، طبع منه المجلد الرابع عشر، و (الإحكام) و (الرسالة الوجيزة ـ خ) في رجال الحديث، قلت: وفي خزانة الرباط (١٤٨٩ كتاني) مجموعة صغيرة، تشتمل على ١٣ رسالة من تأليفه، الأولى (تحقيق الحال في محمد ابن سنان) والثانية في (حال عبد الحميد بن سالم العطار، وحال ابنه محمد بن عبد الحميد) والثالثة في (حال محمد بن عيسى اليقطيني).

١) (الداماد) (.. ـ ١٠٤١ هـ =.. ـ ١٦٣١ م) محمد باقر بن المير الحسيني الاسترابادي: من علماء الإمامية، من أهل أصبهان. أصله من أستر آباد. له مصنفات، منها (القبسات ـ) في ٢١٣ ورقة، فلسفة، و (الاعضالات العويصات في فنون العلوم والصناعات ـ ط) و (الايقاظات ـ ط) في خلق الأعمال وأفعال العباد، و (تقويم الإيمان ـ خ) في الكلام و (نبراس الضياء ـ خ) و (الصحيفة الكاملة ـ خ) و (الافق المبين ـ خ) في الحكمة الإلهية، و (شارع النجاة) في الفقه، و (سدرة المنتهى ـ خ) في التفسير، وحواش ورسائل متعددة، وشعر. عن الأعلام.

المكارم فقد قال[١]: ومن الأدعية الشريفة المروية في هذا الباب دعاء الندبة المروي في زاد المعاد بحذف الإسناد عن سادس الأئمة الأمجاد المؤكد في أربعة أعياد.. الخ.

ولا شك أننا نجد الكثير من الممارسات (أقوالا وأفعالا) من الأئمة السابقين على زمن الإمام الحجة صاحب العصر تبشر به، وتعلن عنه، وتعلم كيفية الصلاة عليه، والدعاء له كما في ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال قل في قنوت الجمعة «اللهم أصلح عبدك وخليفتك بما أصلحت به أنبياءك ورسلك وحفه بملائكتك...وائذن له في جهاد عدوك وعدوه، واجعلني من أنصاره..». ونفس الدعاء المعروف: «اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن في هذه الساعة وفي كل ساعة» فهو مروي عنهم كما في الكافي.

ولم يتيسر لي الإطلاع على كتاب الأيام الأربعة أو مصباح الزائر لكي أنظر إلى المعصوم المروي عنه الدعاء.

---

(١)مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم ص٨٦.

## قراءة سريعة في مواضيع الدعاء

سوف نكون في فهرسة سريعة لعناوين المواضيع التي تطرق إليها الدعاء، ثم نحاول أن نتأمل في بعضها ونتدبر في معانيها.

١. يبدأ الدعاء بالحمد لله على القضاء الجاري في أولياء الله.

٢. يصف أولئك الأولياء بأنهم قد عقدوا مع الله عقدا يزهدون بموجبه في الدنيا، في مقابل أن يقربهم، وأن يجتبيهم وينزل عليهم وحيه ويكرمهم بهبوط ملائكته عليهم.

٣. ثم إن الدعاء يتعرض إلى صور من ذلك التكريم والتقريب الإلهي للأنبياء.. من إسكان في الجنة إلى إنجاء في الفلك واتخاذ البعض خليلا وتكليم البعض الآخر وخلق غيرهم من غير أب، وهكذا..

٤. كان كل واحد من أولئك له شريعة ومنهاج، ووصي ومستخلَف لكي تستمر مسيرة الهداية الإلهية ولا يزول الحق ويغلب الباطل بعد رحيل النبي.

٥. انتهى الأمر إلى سيد الخلق محمد ﷺ، الذي اصطفاه خالقه واجتباه ثم بعد أن قدمه على جميع الأنبياء بعثه إلى الإنس والجن، وتحدث الدعاء عن جملة من صفات النبي ﷺ فيما يمكن التعبير عنه بمعرفة النبوة والنبي.

٦. ضمن القاعدة التي أسسها الدعاء من أن الأنبياء كان لهم خلفاء ومستحفَظون انتقل إلى العترة النبوية، فمهد بأن الله قد جعل أجر النبي الذي ضحى وجاهد ، مودة تلك العترة، ولم يكن ذلك من أجل النبي ولا العترة وإنما ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ و لم يكن أمرا حتميا أن يطيعه الجميع في هذا الشأن بصورة قسرية تكوينية بل ﴿ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا ﴾.

٧. ولذا كان من الطبيعي أن يقيم النبي ـ بعد أن انتهت أيامه صلى الله عليه وآله ـ عليا بن أبي طالب هاديا.. بعده فنص عليه بنصوص كثيرة آخرها الغدير.. واستعرض الدعاء جانبا من الروايات النبوية في حق علي عليه السلام[1]، وكل رواية من تلك الروايات كافية لمن أراد أن يتدبر.

٨. انتقل الدعاء هكذا من دون أن يتعرض إلى الأحداث التي جرت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مقتل أمير المؤمنين عليه السلام مباشرة.. ونعى على الأمة أنها لم تمتثل أمر الرسول في الهادين الطيبين من ذريته.. إلا القليل ممن وفى.

٩. كان من الطبيعي والحال هذه أن يُقصى أبناء الرسول وأن يُقتلوا ويُسبوا!! ومرة أخرى يعود إلى ذكر القضاء الذي تحدث عن جريانه في أول الدعاء للأولياء، هنا أيضا جرى لهم بما يرجى معه حسن المثوبة..

---

(١)نحن لا نعتبر أحاديث الفضائل والمناقب مدعاة للفخر، أو أنها قيلت كمناقب وإنما إضافة إلى ذلك هي جزء من تعريف الإمام، والقول بأن النص على علي هو على القاعدة، وقد ذكرنا هذا في بعض أحاديثنا عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث ستصدر في شكل مستقل.

١٠.الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة دوما هي للمتقين. ولن يخلف الله وعده.. نقاط مضيئة في فهم أبعاد الأحداث.

١١.بعد هذا يبدأ التصعيد العاطفي، بين الداعي وبين أهل البيت في مظلوميتهم وتعدادها.. فعلى الأطائب من أهل بيت محمد وعلي فليبك الباكون.. أين الحسن وأين الحسين وأين أبناء الحسين صالح بعد صالح وصادق بعد صادق؟

١٢.يستمر الدعاء على هذا الوقع من التساؤل المفجع إلى أن يصل إلى التساؤل عن المُعَد لقطع دابر الظلمة، والمرتجى لإزالة الجور والعدوان!

١٣.يقوم الدعاء هنا بتعداد ما نسميه بدور ومسؤوليات الإمام المنتظر عجل الله فرجه.

١٤.يركز الدعاء على صفات الإمام النسبية من جهة والرسالية من جهة أخرى.

١٥.بعد ذلك يذكي الدعاء جمرة التحرق والتشوق إلى الإمام عليه السلام، عندما يناجي الداعي إمامه: عزيز علي أن أرى الخلق ولا تُرى ولا ينالك مني ضجيج ولا شكوى عزيز علي أن تحيط بك دوني البلوى.. هل إليك يا بن أحمد سبيل فتلقى؟ متى نرد مناهلك الروية فنروى!

١٦.يصل الدعاء غايته بالأمل بأن يكون الداعي في صف إمامه وقد نشر لواء النصر وأعلن ثورة العدالة العالمية وقد احتث أصول الظالمين وقطع دابر المتكبرين..

١٧.وكما بدأ بالحمد لله ختم الدعاء بالصلاة على رسول الله السيد الأكبر، وعلي السيد الأصغر وفاطمة الزهراء، ومن اصطفاهم الله من آباء الإمام البررة. طالبا من الله أن يوفقه لأداء حقوق الإمام إليه. حتى ينال رضاه ورضا الله من بعد ذلك.

# تأملات في آية الظهور

### الندبة أسى عاطفي واستثارة ثورية

الندبة: وهي عنوان الدعاء، تأتي على معان، منها: ذكر الميت بحسن الثناء، وأيضا تأتي بمعنى أن يحث شخص جماعةً (أو فردا) على القيام بأمر من الأمور ويندبهم إليه. والشخص الذي يسرع في الإجابة، هو ندب أي خفيف سريع! والندبة: بفتح النون هي المصدر، وبضم النون اسم المصدر.

وهي بالمعنيين تنسجم مع الدعاء، فهو من جهة تفجع وتوجع لما جرى لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام ودعوة للأسى والبكاء عليهم بذكر مآثرهم وصفاتهم الحسنة و(أين الحسن وأين الحسين أين أبناء الحسين صالح بعد صالح وصادق بعد صادق)؟.

وهي أيضا استثارة واستنهاض للثائر المنتظر، والقائم المرتجى، «متى ترانا ونراك وقد نشرت لواء النصر تُرى؟ أتُرانا نحف بك وأنت تؤم الملأ وقد ملأت الأرض عدلا؟».

### الحمد عنوان الحياة الدينية

لم يكن غريبا أن يبدأ القرآن الكريم في فاتحة الكتاب التي تلخص الكتاب، بالحمد لله رب العالمين. كما ليس غريبا أن

يختم الإنسان المؤمن مسيرته العامة، ووصوله إلى الجنة بعد هذا المشوار الطويل حيث يكون ﴿آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

إن الحمد يعني الثناء على المحمود لما قام به من فعل اختياري يمدح به ويشكر عليه، دون مثل المدح الذي قد يكون غير اختياري، ففي البشر لو كان شخص مشرق الوجه، فإنه يمدح بذلك مع أنه لا دخل له في إشراقة وجهه وإنما هي نتيجة عوامل وراثية لا تأثير له فيها.

ولكنه لو أنفق ماله، وحسن تعامله مع الناس فإنه يُحمد على هذا الفعل الاختياري الطيب.

وللحمد آثار، فقد جعل الله الحمد (مفتاحا لذكره وسببا للمزيد من فضله ودليلا على آلائه وعظمته) كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام. بل بدون الحمد يغدو الإنسان المكرم بكرامة الله حيوانا بل هو أضل، كما عن الإمام زين العابدين[٢] (لو حبس عن معرفة حمده على ما أبلاهم من مننه المتتابعة وأسبغ عليهم من مننه المتظافرة لتصرفوا في مننه فلم يحمدوه، وتوسعوا في رزقه فلم يشكروه ولو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الإنسانية إلى حد البهيمية كما وصفهم في محكم كتابه ﴿إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٣].

---

(١)سورة يونس الآية ١٠.

(٢)ميزان الحكمة ٢.

(٣)سورة الفرقان الآية ٤٤.

مـن هـذا المفهـوم الـشامل لموقـع الحمـد في الحيـاة الدينيـة للإنسان المؤمن، ينطلق الداعي مفتتحا الدعاء، بـ «اللـهم لـك الحمد، على ما جرى به قضاؤك في أوليائك..».

**مثلث الكتاب والرسول والوصي**

المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد أن محور الحركـة التاريخيـة كما يذكرها القـرآن هـي قـضية الكتـاب الـسماوي والرسـول المبعوث من الله، وبتبع ذلك موقف الناس تجاه ذلك، وقـد جـاء القـصص القـرآني لكـي يغطـي مـساحة واسـعة مـن تـاريخ الرسالات، وأحوال الأمم والمجتمعات الـتي بُعـث فيهـا الأنبيـاء، ويلتقط القرآن الدروس المناسبة لأجل التـذكر والاعتبـار، وهـي بهذا تكون أحسن القصص، والهـدف منـها هـو أنبـل الأهـداف ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[(١)].

إن القرآن كما نلاحظ لا يتعـرض إلى القـصص المجـرد عـن الرسالات، وغير المتصل بـالنبوات، مـع أن المجتمعـات لا تكـاد تخلو منها، بل يتعامل معها باعتبارها (أساطير) ولا يقيم لها كبير قيمة!!

بينما هـو يتحـدث عـن محـور الكتـاب الـسماوي، والـنبي المرسل، ويأتي بأقواله، ويبين طريقة تعامل المجتمع معـه، والنتـائج التي ترتبت على ذلك التعامل[(٢)].

---

(١)سورة يوسف الآية ٣.
(٢)فانظر إلى سورة الأعراف: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف:٦٥)

لعل بداية الدعاء تجيب على تساؤل هو: أنه لماذا يلحظ الإنسان أن الأنبياء كان مقهورين ومظلومين، وكان مطاردين ومشردين؟

فيجيب على ذلك: بأن مشروع هؤلاء الأقصى لم يكن الدنيا، وإنما المشروع الأساس هو الآخرة، وما داموا قد نجحوا فيه، فحتى لو خسروا الدنيا ـ ظاهرا وإلا فهم لم يخسروها واقعا.

لقد كانت هناك اتفاقية وميثاق معقود بين الخالق وبين

---

ـ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأعراف:٧٣)

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف:٨٥)

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾ (مريم:٤١)

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾ (مريم:٥١)

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾ (مريم:٥٤)

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾ (مريم:٥٦)

﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (صّ:١٧)

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ (صّ:٤٨)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ (المؤمنون:٢٣).

هـؤلاء الأنبيـاء، عنـدما تم اختيـارهم واصطفاؤهم،ــ وقـضية الاصطفاء هنا مهمة سـنعود إليهـا بعـد قليـل ـ تتـضمن تلـك الاتفاقية أن يعيش الرسل في هذه الدنيا ليس لأجلها وإنما تكـون معبرا لهم إلى الآخـرة، فيتحملـون فيهـا رسـالة الله ، ويزهـدون فيها، ينظرون منها لا إليها، فلمـا قبلـوا بـذلك أعطـاهم الله في مقابل ذلـك، الاصـطفاء أولا ثم الـذكر العلـي والثنـاء الجلـي، وسخر لهم الإمكانات الإلهية للقيام بتلك الأدوار. ولكن ذلـك تم (بعد أن شرطت علـيهم الزهـد في زخـارف هـذه الـدنيا الدنيـة وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء بـه. فقبلتـهم وقربتهم، وقدمت لهم الـذكر العلـي والثنـاء الجلـي، واهبطـت علـيهم ملائكتـك، وكرمتـهم بوحيـك، ورفـدتهم بعلمـك، وجعلتهم الذرايع إليك، والوسيلة إلى رضوانك).

في تطبيق للفكرة المذكورة على مـصاديقها يبـدأ الـدعاء في ذكر عدد من الأنبياء (فـبعض أسـكنته جنتـك إلى أن أخرجتـه منها، وبعض حملته في فلكك ونجيته ومن آمن معـه مـن الهلكـة برحمتك، وبعض اتخذته خليلا، وسألك لسان صدق في الآخرين فأجبته، وجعلت ذلك عليا وبعض كلمته من شـجرة تكليمـا، وجعلت له من أخيه ردءا ووزيرا، وبعض أولدته مـن غـير أب، وآتيته البينات وأيدته بروح القدس. وكـلا شـرعت لـه شـريعة، ونهجت منهاجا)..

هناك إذن رسول، وشريعة ومنـهاج تماما كمـا قـال القـرآن ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾[1].

(١)سورة المائدة الآية ٤٨.

تلك قاعدة ثابتة في الرسالات، وهناك قاعدة أخرى وهي ضمان الاستمرار عن طريق الأوصياء الذين تم اختيارهم بطريق إلهي، لا يرتبط بإرادة الرسول بالضرورة، فكان مع كل رسول أوصياء، مستحفَظون على أمانات الأنبياء ومناهجهم، وذلك لغاية أن لا يغلب الباطل، وأن لا يحتج المتأخر من أجيال البشر على خالقهم بأنهم لم يكن لهم هاد أو مرشد!! فكل نبي من الأنبياء قد (تخيرتَ ـ والخطاب موجه لله سبحانه ـ له أوصياء، مستحفظا بعد مستحفظ، من مدة إلى مدة، إقامة لدينك، وحجة على عبادك، ولئلا يزول الحق عن مقره، ويغلب الباطل على أهله، ولا يقول أحد لولا أرسلت إلينا رسولا منذرا، فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى).

## معرفة النبوة والنبي

ربما كانت المعرفة الناقصة كالجهل الكامل في أحيان كثيرة، لا سيما في باب العقائد! وإذا كان كل شيء لا بد من تقدم المعرفة عليه فـ (ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة) ولذا كان تفاضل الناس بالمعرفة فـ «لا تستعظمن أحدا حتى تستكشف معرفته»[1] كما عن أمير المؤمنين عليه السلام.

ولهذا نحن نعتقد أن التعلم، وطلب المعرفة واجب شرعي[2] وطريق للطاعة أيضا، ولا سيما ـ كما ذكرنا ـ في باب العقائد. فقد وجدنا في هذا المجال من يعبد ربا لا يشبه الله سبحانه في

(١)الحديثان من كتاب: الحياة للحكيمي ج ١ ص٣٨.
(٢)طلب العلم فريضة على كل حال: الإمام الصادق عليه السلام، المصدر السابق.

شيء، إذ كان يعبد ربا مجسما ومحدودا أو ظالما.. وهـذا لا يـشبه الله سبحانه وتعالى في شيء.

ورأينا من يعتقد بنبوة نبي بعيد في صفاته عن الـنبي الأعظـم محمد ﷺ، فهو يعتقد بخطأ النبي وبأنه يهجر وبأنـه لا يـستطيع أن يسيطر على عواطفه سلبا وإيجابا، فهو يلعن من غـير مـبرر، ويمدح من دون حقيقـة!! بـل إنـه يُتـصرف فيـه ـ نعـوذ بـالله ـ فيُخيل له أنه قد فعل الشيء وهو لم يفعله!! وهكذا.

وهذه الصور الخاطئة تُسقط الصورة النبويـة الـتي نجـدها في القرآن الكريم، وتعارض الصفات التي ذكرتها الآيـات[1] لرسـول الله ﷺ.

ولهذا فإن الدعاء هنا يتوقف ليذكر بعض الصفات الرئيـسة لدى رسول الله ﷺ: «إلى أن انتهيت بالأمر إلى حبيبك ونجيبك محمد ﷺ، فكان كما انتجبته سيد مـن خلقتـه، وصـفوة مـن اصطفيته، وأفضل من اجتبيته، وأكرم من اعتمدته. قدمته علـى أنبيائـك، وبعثتـه إلى الـثقلين مـن عبـادك، وأوطأتـه مـشارقك

(١)﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤)
﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة:١٢٨)
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران:١٥٩)
﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾(الحشر: من الآية٧)
﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (النجم:٤).

ومغاربك، وسخرت له البراق، وعرجت به إلى سمائك، وأودعته علم ما يكون إلى انقضاء خلقك. ثم نصرته بالرعب، وحففته بجبرئيل وميكائيل والمسومين من ملائكتك، ووعدته أن تظهره على الدين كله، ولو كره المشركون».

يركز الدعاء على: ـ اصطفاء الله وانتجابه واجتبائه لرسول الله، وأنه لم يكن هكذا صدفة، ولا دخل لانتخاب بشري في أمره، وأن الأمر كان منذ الأزل، فليس الأمر على طريقة «لو لم أبعث لبعث فلان» كما قالوا!!

ـ ثم إن ما حصل في الخارج من الرسول ﷺ كان تصديقا لذلك الاصطفاء والانتخاب، فوافق في سلوكه وأخلاقه ما كان قد حصل له من الاجتباء، «فكان كما انتجبته سيد من خلقته..»[1].

---

(١)ينبغي هنا ملاحظة الفرق العظيم بين الصورة التي يقدمها الدعاء الشريف (الندبة) في معرفة النبي ﷺ: فكان كما انتجبته سيد من خلقته وصفوة من اصطفيته وأكرم من اعتمدته وبين الصورة التي نجدها في أحاديث بعض فرق المسلمين: والتي تنتهي إلى أن الرسول ـ والعياذ بالله ـ:

شخص يتأثر بعواطفه وليس محكوما بالتعاليم الدينية، فإنه في زعمهم يلعن من غير استحقاق، ويشتم كذلك ثم يسأل الله أن يجعل ذلك اللعن والشتم الذي هو في غير موقعه زكاة لمن يلعنه!!

وأنه يطبق الأحكام الدينية على غيره أما إذا جاءت إليه وإلى أسرته فكلا، وذلك فيما ذكروه في فرية محاولة أمير المؤمنين عليه السلام الزواج من ابنة أبي جهل، فغضبت فاطمة وذهبت إلى أبيها الذي غضب بدوره من تصرف علي!! وهؤلاء أرادوا ذم علي فإذا بهم يذمون النبي ﷺ، فكيف لا يقبل

ـ وبهذا فقد تقدم على جميع الأنبياء، وفاق كل الرسل.

ـ وبُعث ليس إلى أمة من البشر، ولا إلى جميع البشر المعاصرين له، بل ولا كل البشر، وإنما فوق ذلك كله إلى الثقلين من الجن والإنس أجمعين. وهو أمر لم يتيسر لغيره من الأنبياء، ولا قام أحد من الأصفياء.

ـ تأييدا له، فقد أعطاه الله إشرافا على المشارق والمغارب والفضاء والسماء، وقد أحاط بكل ذلك علما ومعرفة.. ومع أن الله سبحانه قد أرى وأطلع نبيه إبراهيم عليه السلام على ملكوت السماوات والأرض، كما ذكر ذلك القرآن الكريم ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[1]، إلا أن الذي حصل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يحصل لإبراهيم ولا لغيره. وسُخر له البراق. وهي المرة الوحيدة في تاريخ الكون فيما يخبر عنه القرآن الكريم.

---

بأن يتزوج ـ مع أن ذلك هو من حقه شرعا ـ؟ لكنه الكذب والافتراء!
صورة الشخص الذي يكون عموم المسلمين أعلم منه بشؤون دنياهم فيما زعموا أنه قال: أنتم أعلم بشؤون دنياكم!! أي أن شؤون الاقتصاد والسياسة، والسلم والحرب، والقضايا الاجتماعية، وقضايا الثقافة والفكر، وهذه من شؤون الدنيا يكون فيها عامة الناس أعلم وأخبر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم !!
بينما الصورة الصحيحة التي يقدمها الدعاء لنا: صورة انتجبها الله واختارها منذ بدء الخليقة، وجاء النبي (كما كان قد اختاره).
(١)سورة الأنعام الآية ٧٥.

ـ وأعطاه من المعرفة والعلم شيئا يتناسب مع تلك المنزلة، ولم يُعط أحد ذلك، وهو (علم ما كان وما يكون إلى انقضاء خلقك).. وهذه كلمة ينبغي التأمل فيها كثيرا، ولولا أن البحث فيها يخرج عن مهمة هذه السطور لكان مناسبا أن يُبحث في دلالاتها..

ولكن حسبنا بها أن تكذب كل ادعاء يطلق من أي جهة كانت عن غفلة النبي عن جهة علمية أو نظرية، في مقابل تنبه غيرها لها، وأن فكرة (أنتم أعلم بأمر دنياكم) من الرسول كما يزعمها البعض غير ملتفتين إلى لوازمها لا يمكن أن تصدق ولا تُصدَّق!

فإن كان المقصود أمور الدنيا التي لها نحو اتصال بالدين فهو يهدم مسألة وجوب الرجوع إلى النبي والرد إليه ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[1]. وإن كان أمرا لا يرتبط بذلك وليس ذا تأثير في الحياة العامة، فالأعلمية به ليست ذات أهمية.

### العودة إلى الوصي، والعترة

يعود الدعاء مرة أخرى للتأكيد على القاعدة التي أسسها في البداية وهي أنه إلى جانب كل نبي يوجد أوصياء ومستحفظون، ولما كانت هذه القاعدة هي أساس في الحركات الرسالية السماوية، فإنه من الطبيعي أن تكون أيضا في حركة رسول الله ﷺ ودعوته، فكما تبوأ موسى وهارون وقومهما مبوأ الصدق

(١)سورة النساء الآية ٨٣.

بعد ذلك الجهاد ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرائيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾(١)، فكذلك بوأ الله النبي محمدا ﷺ مبوأ الصدق، وموقع الكرامة والنصرة من أهله وذريته، فكان أن ناصروه وجاهدوا بين يديه حتى أظهر الله دينه، بعد أن خاضوا الغمرات ومارسوا الكربات.

ولذا كان من الطبيعي أن يجعل الله أجر الرسالة للنبي هو مودة هؤلاء القرابة المطهرة الذين أذهب الله عنهم كل أنواع الرجس المادي والمعنوي، وطهرهم تطهيرا(٢).
وهذا الأجر ليس عائدا للذرية الطاهرة والعترة الطيبة وإنما هو عائد للناس ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾، وهو لغاية الهداية أيضا، وخصوصا بالنسبة إلى ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾، فكان من تمام نعمة الله سبحانه على الخلق، ومن كمال لطف النبي بالناس أن أرشد إلى الطريق، وجعل الوسيلة والذريعة التي يتوسل بها البشر ويتوصلون إلى خالقهم وعبادته.

---

(١)سورة يونس الآية ٩٣.
(٢)وقال المولى محمد صالح المازندراني في شرحه للكافي في بيان جهات هذه الآية المباركة إن: نفي الرجس عنهم على وجه المبالغة حيث اكد ذلك بوجوه الأول إنما الدالة على الحصر. والتأكيد الثاني لام التأكيد في ليذهب. الثالث لفظ الإذهاب الدال على الإزالة. الرابع التعريف بلام الجنس الذي يستلزم نفيه نفي جميع جزئياته. الخامس الإتيان بالمضارع الدال على الاستمرار. السادس تقديم الظرف على المفعول الدال على كمال العناية والاختصاص. السابع الإتيان بأهل البيت لا بأسمائهم تعظيما لهم. الثامن النداء على وجه الاختصاص. التاسع الإتيان بالتطهير الدال على التنزيه عن كل دنس. العاشر الإتيان بالمصدر: تطهيرا.

«ثم جعلت أجر محمد صلواتك عليه وآله مودتهم في كتابك، فقلت: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾[1]، فكانوا هم السبيل إليك، والمسلك إلى رضوانك». ولاحظ المشاكلة هنا بين التعبيرين ففي أول الدعاء يتحدث عن الرسل باعتبارهم «الوسيلة إليك والمسلك إلى رضوانك»، وهنا أيضا أيضا فهم الوسيلة كذلك ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلا مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾.

ومن العجيب أن بعض المسلمين يرون حالة الأوصياء والخلفاء المعينين من قبل الله في سائر النبوات والأنبياء السابقين طبيعية وأنها على القاعدة ، بينما ينكرون هذا في الأمة فيقولون أن النبي مات ولم يوصِ لأحد!! فلآدم أوصياء ولنوح كذلك ولموسى، ولباقي الأنبياء.. إلا نبينا محمدا ﷺ؟

الحقيقة هي أن قضية الأوصياء ليس أمرا اقتراحيا، ولا تجربة بشرية، وإنما هي أمر إلهي، ففي نفس الوقت الذي يتم اختيار النبي، في ذات الموقع أيضا «تخيرت له أوصياء مستحفظا بعد مستحفظ» ولنفس الغرض والغاية «إقامة لدينك وحجة على عبادك».

ولذلك فإنه لما كانت سنة الله في البشر الفناء و﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[2]، فكان طبيعيا أن يقبض الله سبحانه نبيه إلى جواره، وأن يستأثر به لنفسه، فيقبضه إليه باختياره، ولهذا فقد

(١)سورة الفرقان الآية ٥٧.
(٢)سورة الزمر الآية ٣٠.

بادر النبي قبل حلـول أجلـه إلى تطبيـق تلـك الـسنة الرسـالية: الإعلان الصريح والمباشر عن الوصي بعده «فلما انقضت أيامـه أقام وليه علي بن أبي طالب صلواتك عليهما وآلهما هاديـا، إذ كان هو المنذر ولكل قوم هاد، فقال والملأ إمامه: من كنت مـولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عـاداه، وانـصر مـن نصره، واخذل من خذله».

**معرفة الإمامة**

في تمثيل قريب للذهن العـام يـبين الإمـام البـاقر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي قدس سره، عن أن الإنـسان إذا أراد المـسير لعـدة فراسـخ فإنه يحتاج إلى دليل يُعرفه الطريق، مع أن الـضرر المترتـب علـى ذلك يسير وسهل وهو عدم الوصـول إلى المقـصد، وأيـضا فإنـه يمكن الوصول بعدة تجارب ومحاولات، ومع ذلـك فـإن الإنـسان قبل أن يسير إلى ذلك المقصد يطلب دليلا وهاديا.

فإذا كان كذلك بالنسبة إلى مسير فراسخ ألا ينبغي أن يفكـر كثيرا في المسير إلى الله في طريق الآخرة؟ فمن هـو الهـادي لـه في ذلك؟ خصوصا أن الضرر المترتب على الضلال في طريق الآخرة هو نار جهنم خالدا فيها. وأنه لا يمكن المحاولة، والتجربة بعدما لم يكن للمرء سوى عمر واحد وفتـرة زمنيـة لا تتكـرر!! «يـا أبـا حمزة! يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دلـيلا، وأنـت بطـرق السماء أجهل منك بطرق الأرض فاطلب لنفسك دليلا»[1].

وإذا كان الناس في يوم القيامة يـأتون خلـف رايـات، وأئمـة

---

(١)الكافي ١/١٨٤.

وقادة، ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾[1]، فمن اللازم أن يختار الإنسان في دنياه هذه القيادة التي يفلح بها في ذلك اليوم. وذلك لـ «إن أئمتكم قادتك إلى الله فانظروا بمن تقتدون في دينكم وصلاتكم»[2] كما عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وليس الأمر قابلا للتساهل فيه، إذ أن «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية»..

كما أن الأمر كما ذكرنا ليس انتخابا بشريا، بمعنى أن من انتخبه الناس أصبح هو الإمام، فهذا قد يصدق في الشركة، والإدارة، والدولة، ولكنه في السفارة بين الله وخلقه غير صادق أصلا.. تماما مثل ما هو الحال بالنسبة للنبوة والأنبياء!

ولا بد هنا من التفريق بين الرئاسة، أو القيادة الظاهرية وبين

---

(١)(سورة الإسراء الآية ٧١) ربما فسر البعض بإمامهم يعني كتابهم، وهذا وإن كان محتملا إلا أنه مخالف لآراء أكثر المفسرين من الفريقين، وثانيا يخالفه أن بعض الفئات في الديانة الواحدة قد تقاتلت وتقربت إلى الله بقتل بعضها بعضا، مع أنه كتابها القرآن واحد، والكل يحمله ويتلوه!! ولك في تاريخ الإسلام ما يشهد عليه.

وهناك جهة أخرى وهي أنه قد يعترض على ما ذكر بأن القرآن يقول أيضا ﴿كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾ (مريم:٩٥)، لكن ذلك إما محمول على أنه لا يملك من مقومات القوة من الأعوان والحشم والخدم شيئا، وإنما ﴿فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ (الأنعام: من الآية٩٤)، وأيضا يمكن حمل الأمر على تعدد المواقف ففي بعض المواقف يكون تحت راية إمامه، ثم يبدأ الحساب الفردي معه.. والله العالم.

(٢)كمال الدين وتمام النعمة /٢٢١.

الإمامة الواقعية الإلهية.. فمن الممكن أن يأتي شخص ويكون رئيسا أو قائدا بالغلبة أو الحيلة، أو حتى بالانتخاب والصلاحية، لكنه لن يستطيع أن يكون إماما إلهيا بذلك! ولا نبيا بالانتخاب! فكما أن قضية النبوة لا تخضع لقانون الانتخاب ولا لطريق الغلبة والسيطرة، ولا لمقاييس البشر[1]. فكذلك الإمامة الدينية العامة.

صحيح أنها لا تأتي إلا من خلال مواصفات، ولكن العملية بكاملها خاضعة للأمر الإلهي.. وكما لا يكون الاختيار إليهم، لا يؤثر في ذلك أن يقبل الناس أو لا يقبلون.. بل لو لم يقبلوا مع قيام الحجة عليهم تعرضوا لغضب الله سبحانه.

ولهذا فقد قام النبي محمد ﷺ بالإبلاغ عن الوصي تبعا للأمر الصادر له ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ لا بالانتخاب، إذ ليس له أن يبدل أمرا إلهيا من تلقاء نفسه، وهكذا ينبغي أن تفهم الروايات التي تنسب الفعل إلى رسول الله ﷺ، «فلما انقضت أيامه أقام وليه علي بن أبي طالب..»

وقد تم هذا الإبلاغ بصور متعددة.. بحيث لم تبق وسيلة كان يمكن أن يحصل من خلالها إيصال هذه الفكرة إلا وطرقها رسول الله ﷺ. ولنأخذ بعض الأمثلة على ذلك:

---

(١)﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۞ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾(سورة الزخرف الآية ٣١ـ ٣٢).

▪ أنه نزله منزلته التامة ـ مستثنيا النبوة ـ: فقال: لحمك من لحمي، ودمك من دمي، وسلمك سلمي، وحربك حربي، والإيمان مخالط لحمك ودمك، كما خالط لحمي ودمي.

وقد يقول إنسان لبيان أن فلانا ممثل له، فيعبر عن ذلك بأن قوله هو قول الأول، وسلمه سلمه وحربه حربه.. أما إذا أراد المبالغة في ذلك فهو يقول: «لحمه لحمي ودمه دمي».

▪ بيّن غاية الانسجام بينه وبين الوصي: وأن ولاية الإمام هي الأمر الطبيعي على أثر ذلك بحيث لو لم تكن لكان ذلك هو الشاذ، فـ «أنا وأنت من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتى». وأنه: «من كنت أنا وليه فعلي أميره».

▪ أخبر عنه أنه وصيه وخليفته: تارة بصورة الخطاب له، وأخرى إخبار الناس عن ذلك، فقال: أنت ووصيي ووارثي وخليفتي وقاضي ديني ومنجز عداتي. وبين هذا التصريح الواضح، والكناية والتنزيل في «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» كانت هناك فكرة واحدة وهي أن الإمام هو الولي والأولى بالأمر والنهي بعد النبي. وأن عليا يجب أن يطاع كما كان يطاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

▪ رتّب من الآثار ما كان خاصا به على الوصي عليه السلام: ولهذا فقد أحل له من مسجده ما حل له، وسد جميع الأبواب المؤدية إلى المسجد إلا بابه، وذلك لأن المسجد لا يصلح أن يمر فيه جنب حتى عابر سبيل، لكن لما كان أهل البيت قد طُهروا من الرجس تطهيرا، فقد كان ذلك خاصا بهم، ولذا الأبواب جميعا إلا بابه وباب علي عليه السلام.

- توج ذلك بخطاب صريح في حجة الوداع، في أنه من كان يرى ولاية النبي عليه، فلير ولاية علي عليه السلام وذلك في يوم الغدير المشهور.

فلنعد قراءة النص في الدعاء: «قال والملأ إمامه: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وقال: من كنت أنا وليه فعلي أميره، وقال: أنا وعلي من شجرة واحدة وسائر الناس من أشجار شتى. وأحله محل هارون من موسى، فقال: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وزوجه ابنته سيدة نساء العالمين، وأحل له من مسجده ما حل له، وسد الأبواب إلا بابه. ثم أودعه علمه وحكمته، فقال: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها، ثم قال له: أنت أخي ووصيي ووارثي، لحمك من لحمي، ودمك من دمي، وسلمك سلمي، وحربك حربي، والإيمان مخالط لحمك ودمك، كما خالط لحمي ودمي، وأنت غدا على الحوض معي، وأنت خليفتي، وأنت تقضي ديني وتنجز عداتي، وشيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي في الجنة وهم جيراني، ولولا أنت يا علي لم يعرف المؤمنون بعدي»

- لماذا وقفت فئات من الأمة تجاه أهل البيت موقف الإقصاء؟

كانت الحلقة الأولى في ذلك هي إقصاء أمير المؤمنين علي عليه السلام عن مواقع الحكم والقيادة والإمامة، فتلك الفئة كانت (مصرة على مقته مجتمعة على قطيعة رحمه، إلا القليل..). ثم تتابع الإقصاء بعد أن لم يمتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم تنفذ

وصاياه، ووصل إلى حالة العداء من القتل والسبي والتشريد، (فقُتل من قُتل وسبُي من سبي وأقصي من أقصي).

والدعاء هنا يبين سببا من الأسباب: وهو السبب التاريخي، فإن عليا عليه السلام لما كان السابق إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمقاتل الأول في ركابه، والذي لولا سيفه وشجاعته لما قام الدين، جعله ذلك الموقف الرسالي والديني على خط المواجهة مع قريش، ومع أنه لم يقم إلا بما كان ينبغي القيام به تجاههم في نصرة الرسول إلا أنهم لم يغفروا له ذلك. وظلوا يتعاملون معه دائما ـ في أثناء حياة الرسول وبعد وفاته مباشرة، بل وإلى أن تولى الإمام الحكومة الظاهرية بعد ربع قرن من وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ على أساس من الثارات المطلوبة عند علي، وتُستذكر في كل تلك المواقف التالية، موقفه الحازم[١] تجاه آبائهم المشركين، وقتله لهم في معارك الرسالة، «فأورث قلوبهم أحقادا بدرية وخيبرية[٢]

(١)أصبحت سنة الشتم لعلي عليه السلام في أيام الأمويين من السنن التي لا تُنسى، وإن نُسيت فإنها تُقضى! ووصل الحال إلى حد الحقد حتى على اسم (علي) فإنه ينقل أن مروان بن الحكم لما ولاه معاوية على المدينة أراد إحصاء الناس، فلما جاء بنو هاشم ومعهم علي بن الحسين ، فقال ما اسمك ؟ قال : علي بن الحسين ، فقال : ما اسم أخيك ؟ قال : علي ! فقال مروان : علي وعلي ! ما يريد أبوك أن يدع أحدا من ولده إلا سماه عليا !

(٢)الملاحظ أن معركة خيبر كانت مع اليهود ولكن مع ذلك جاءت في هذا السياق، وربما يكون ذلك مفسرا لما كان عليه (مسلمة أهل الكتاب) ككعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وغيرهم ممن أسلموا ولكن بقي موقفهم من علي عليه السلام في مختلف أدوارهم باهتا، أو متحالفا مع الخط القرشي عموما، بل في بعض الحالات كان معاديا بالصراحة.

وحنينية وغيرهن».

وهناك أسباب أخر، ربما يستطيع الإنسان استكشافها من خلال الحوارات التاريخية التي كانت تدور بين أرباب هذه الخطوط ويشير بعضها إلى العامل النفسي الداخلي الذي تراجع عن السطح أيام النبي لكنه كان المحرك الحقيقي لكثير من الممارسات ضد أمير المؤمنين عليه السلام وخطه في الأمة[١].

---

(١)يشير إلى ذلك ما نقله الطبري في تاريخه ج ٣ ص ٢٨٩: عن المحاورة التي جرت بين ابن عباس والخليفة عمر بن الخطاب: أنه قال: يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ فكرهت أن أجيبه فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني ! فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت! فقلت يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في كلام وتمط عني الغضب تكلمت.. فقال: تكلم يا ابن عباس. فقلت أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت فلو أن قريشا اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود وأما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عز وجل وصف قوما بالكراهية فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾، فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أفرك عنها فتزيل منزلتك مني، فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين فإن كانت حقا فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك وإن كانت باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه، فقال عمر: بلغني أنك تقول إنما صرفوها عنا حسدا وظلما، فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلما فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسدا فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون، فقال عمر: هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسدا ما يحول، وضغنا وغشا ما يزول، فقلت: مهلا يا أمير المؤمنين لا تصب قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بالحسد

**التصعيد العاطفي موقف**

رفع شعار مظلومية أهل البيت عليهم السلام، والتبليغ عنه في مختلف المواقف أمر نلاحظه في كثير من التوجيهات الصادرة عن المعصومين، فقد جعلوه من مصاديق إحياء أمرهم «أحيوا أمرنا! رحم الله امرءً أحيا أمرنا»..

وهو في أدنى حالات تأثيره أن لا يجعل اللقمة التي استلبها أعداؤهم هنيئة المأكل! وفي أعلى درجات تأثيره أن يبعث من المجاهدين والعاملين من يطالب بإعادة الوضع الصحيح، فلا ينبغي أن يكون المؤخر مقدما، والمقدم مؤخرا.

إن صرخات المظلومين، وآهات المعذَّبين هي بمثابة القطرات التي تصنع السيل الجارف، فتكنس ما شاده الظالمون على الباطل. ويستطيع أهل السلطان أن يصادروا من الإنسان أشياء كثيرة لكنهم لن يستطيعوا أن يصادروا موقفه النفسي، وحزنه وبكاءه على مظلومية أهل البيت عليهم السلام. ولعل ما نجده من منع السلطات المعادية لهذه الشعائر على امتداد فترات التاريخ راجع إلى إدراكها للدور الذي تقوم به مثل هذه في تعميق الولاء للخط الرسالي الصحيح.

رفع المظلومية هي صرخة احتجاج، وإعلان سياسي عن الحق المصادَر والدم المطلول، والوتر الموتور!

---

والغش فإن قلب رسول الله صلى الله عليه وآله من قلوب بني هاشم، فقال عمر: إليك عني يا ابن عباس.

ولا سيما إذا نظرنا إلى توقيت مثل هـذا الـدعاء حيـث أنـه يُدعى به في الأعياد، وتخيل أنت المشهد! عنـدما يحتفـل الجميـع بالعيد الذي يفترض فيه الفرح، فـإذا بفئـة مـن النـاس يبكـون وينتحبـون حزنـا! لا بـد أن يـثير ذلـك سـؤالا، ويـستدعي الجواب..لماذا؟ ما الذي جرى؟ من هو الظالم ومن يكون المظلوم؟ وهكذا.. فهو أيضا وسيلة إعلامية تعبويـة لا نظـير لـه! «فعلـى الأطائب من أهل بيت محمد وعلـي صـلى الله عليهمـا والهمـا، فليبك البـاكون، وإيـاهم فلينـدب النـادبون، ولمثلـهم فلتـذرف الـدموع، وليـصرخ الـصارخون، ويـضج الـضاجون، ويعـج العاجون. أين الحسن أين الحسين، أين أبناء الحسين، صالح بعـد صالح، وصادق بعد صادق، أين السبيل بعد السبيل، أين الخـيرة بعد الخيرة، أين الشموس الطالعة، أين الأقمار المنيرة، أين الأنجم الزاهرة، أين أعلام الدين وقواعد العلم».

الإعلان عن صاحب العـصر عجـل الله فرجـه: لا يقتـصر التصعيد العاطفي، ورفـع شـعار المظلوميـة ـ وواقعهـا ـ علـى الجانب التاريخي، وإن كان ذلك مطلوبا أيضا.. وإنما يتعدى ذلـك لكي يتناول المشكلة الأساس، والقضية الأهم وهي قضية الإمـام الغائب عنا.

فينعطف الدعاء من الحـديث عـن أبنـاء الحـسن والحـسين الصالحين، الـذي استـشهدوا وتفرقـت قبـورهم، وتـشظى مـا بينهم، إلى الأسلوب المحتج من جهة، المـستنهض والمـستثير مـن جهة أخرى، في ذكر للإمام الحجة محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه.

وهو في كل ذلك يبين الدور المرتقب للإمام المنتظر، ويعرف به، فيقول: «أين المعد لقطع دابر الظلمة، أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج، أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان، أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن، أين المتخير لإعادة الملة والشريعة، أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده، أين محيي معالم الدين وأهله، أين قاصم شوكة المعتدين، أين هادم أبنية الشرك والنفاق. أين مبيد أهل الفسق والعصيان، أين حاصد فروع الغي والشقاق، أين طامس آثار الزيغ والأهواء، أين قاطع حبائل الكذب والافتراء، أين مبيد أهل العناد والمردة، أين معز الأولياء ومذل الأعداء، أين جامع الكلمة على التقوى، أين باب الله الذي منه يؤتى. أين وجه الله الذي إليه تتوجه الأولياء، أين السبب المتصل بين الأرض والسماء، أين صاحب يوم الفتح وناشر راية الهدى، أين مؤلف شمل الصلاح والرضا، أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المقتول بكربلاء. أين المنصور على من اعتدى عليه وافترى».

### الدور المرتقب للإمام

مما يستفاد من الدعاء، وإلا فإن الروايات تفصل في أدوار أخرى أيضا..

أ. إحياء معالم الدين وتجديده. لا يختلف المحققون في أن الدين الإسلامي الذي جاء حياة للناس، وطريقا إلى العلو[1] قد تعرض لتشويه كبير على أثر سيطرة خط الجمود عليه، بحيث كان يحتاج في كل قرن، بل دون ذلك إلى مجدد، يراه كما بلغه

---

(١)﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(سورة آل عمران الآية ١٣٩).

رسول الله ﷺ، وأصبح الحديث عن التجديد في زماننا ـ بل حتى في الأزمنة السابقة ـ أمرا مألوفا، وحديث الراغبين في تغيير وضع الأمة نحو الأحسن. والروايات التي تتحدث عن الإمام المنتظر تتحدث عنه أنه سوف يأتي (بدين جديد) وهو في الواقع ليس جديدا وإنما هو فهم جديد، لتلك المعالم، فهم صحيح غير مشوه، فيظن الكثير من الناس الذين قد تعودوا على هذه المعالم المطموسة أنهم إمام دين جديد! إحياء الفرائض والسنن، وتجديد الكتاب، وبعث الروح في معالم الدين والشريعة هي المهمة الأولى التي يقوم بها الإمام المنتظر عجل الله فرجه.

ب. في نفس الاتجاه التنويري والتثقيفي، لا شك أن هناك بناءا ثقافيا فاسدا قد تم تشييده خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة، سواء منه (ثقافة الزيغ) والباطل التي حرفت مسار الأمة، والتي نشرها الحاكمون من أفكار الجبر والخنوع للباطل، أو الثقافة العبثية التي تستهلك عمر الإنسان في الهوى والشهوة، وما لا ينفع من الاهتمامات تلك الثقافة التي لا تعمر دنيا بالعلم والمعرفة والتقدم، ولا تقرب من الآخرة والرضا الرباني. وما أكثرها في بلادنا اليوم!

إن بناء ثقافة جديدة، وإحياء الدين يتطلب أيضا مقاومة تلك الخطوط الفكرية المنحرفة، في أصولها وفي ذيولها، بالفكر الصحيح..

«أين حاصد فروع الغي والشقاق أين طامس آثار الزيغ والأهواء».

ج. سيختلف موقف الفئات من الإصلاحات الجذرية والتغييرات العظيمة التي سيصنعها الإمام عليه السلام فمن الناس ـ ولعلهم الأكثر ـ ممن ينتظرون هذا الأمل من سيقوم بالمناصرة والترحيب بكل ذلك، لأنهم يجدون في ذلك حياتهم وحياة دينهم، وهناك فئة وهي التي كانت قد أوصلت البشرية إلى ما وصلت إليه من الانحراف حتى عاد الإنسان على شفا حفرة من النهاية، وعاد الكون مغمورا بالفساد على كل الأصعدة وفي البر والبحر، بما كسبت أيدي هؤلاء الناس وأتباعهم.. وبالطبع هؤلاء لن يرحبوا بزوال صلاحياتهم وسلطتهم الباطلة.

هؤلاء الطواغيت والمردة لن يكون هناك سبيل غير التعامل معهم بالمنطق الذي يفهمونه. «أين مبيد العتاة والمردة، أين مستأصل أهل العناد والإلحاد».

وليست القضية قضية أشخاص وإنما هي مؤسسات ونظم إضافة إلى ذلك، فلا بد من إزالة تلك الأبنية والنظم والمؤسسات التي قامت على الباطل وكرست الضلال «أين هادم أبنية الشرك والنفاق». ولا يظن أن الهدم والإزالة هنا هي بالمعنى البسيط الساذج الذي يلجأ إليه البعض من المنتصرين على أعدائهم في عمل انتقامي، يبين ضيق الأفق بمقدار ما يبين قوة الاندفاع.. وإنما تفكيك الأنظمة والبنى الاجتماعية الفاسدة، وتأسيسها من جديد على أسس جديدة.. وليست القضية قضية شعار، فقد كان المنحرفون أيضا يرفعون شعار الدين، وينادون بالحرية والديمقراطية وإنما محاربة النفاق السياسي والفكري.. فهو يهدم البنى التي تكرس الشرك كما تعزز حالة النفاق.

د. في المقابل فإن خط أولياء الله، ورسالة الأنبياء وجهودهم كانت تنتظر مثل هذا اليوم وهذا الثائر النبوي الرسالي العلوي، فستكون ثورته وحركته فرصة للطلب بثأر الأنبياء وأبناء الأنبياء، وامتدادا لخط الثائرين في سبيل الله، ولم يكن ذلك الثار ثأرا شخصيا، وإنما هو ثأر الرسالة والدين.«أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء والأنبياء أين الطالب بدم المقتول بكربلاء..».

ه. خلافا لما هو بادئ النظر عند بعض من أن مهمة الإمام عليه السلام هي مهمة قتالية فقط، وتنتهي إلى تغلب فئة على فئة! فإن الدعاء يبين جانبا مهما من الحركة المهدوية وهو تحقيق الوحدة العامة، وجمع الكلمة على أساس سليم ثابت، وهو جمع الكلمة على التقوى! وتأليف الشمل لكن ذلك لا يكون على حساب القيم وإنما ضمن إطار الصلاح «أين جامع الكلمة على التقوى؟ أين مؤلف شمل الصلاح والرضا؟».

العلاقة الخاصة التي يصنعها دعاء الندبة بين الداعي وبين إمامه:

بعد بيان جانب من مهمات وأدوار الإمام المنتظر عجل الله فرجه، يقوم الدعاء بتعريف إضافي للإمام، منوها بذكره وذكر آبائه الكرام.. ويلاحظ هنا تركيز فقرات الدعاء أيضا على استحضار الآيات الكريمة التي نزلت في آبائه الطاهرين عليهم السلام، فهو «ابن النبأ العظيم» وهو «ابن الصراط المستقيم»، وهو «ابن من هو في أم الكتاب لدى الله حكيم عليم» وهو«ابن طه والمحكمات»، و «ابن يس والذاريات»، و«ابن الطور والعاديات»، و«ابن من دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى».

وقبل أن نـدخل في تلـك العلاقـة مـن التـشوق، والتحـرق العاطفي التي يصنعها الدعاء بين الداعي و صاحب الزمان عجل الله فرجه، فهناك جملة ممارسات نراها في تراث أهل البيت عليهم السلام، تتكفل بـصناعة علاقـة اسـتثنائية بـين المـؤمنين وبـين صـاحب العصر والزمان:

ـ من ذلك ما ورد من : أدعية يفتتح المؤمن يومه مثـل دعـاء العهد الذي يستحب بعد صلاة الفجر: اللهم بلغ مولانا الإمـام الهادي المهدي عن جميع المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها.. من الصلوات والتحيات زنـة عـرش الله ومـداد كلماتـه.. ثم يطلـب الداعي من الله أن يكون من أنـصار الحجـة. وأن يبعثـه للنـصرة حتى لو مات. وأخيرا يتعاهد معه ويجدد معـه البيعـة: اللـهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت أيام حياتي عهدا وعقدا وبيعة له في عنقي.

والدعاء الآخر الذي روي أن من واظب عليـه حـشره الله في جملة أنصار الحجة، وفيه.. اللهم إن حال بيني وبينه المـوت الـذي لا بد منه فأخرجني من قبري مؤتزرا كفني شـاهرا سـيفي مجـردا قناتي ملبيا دعوة الداعي في الحاضر والبادي.. اللهم أرني الطلعـة الرشيدة والغرة الحميدة وأكحل ناظري بنظرة مني إليـه، وعجـل فرجه..

ـ ومن ذلك الاحترام لاسمه الشريف، بالمقدار الـذي لا نـراه بالنسبة إلى سائر الأسماء المقدسة، فإنه قد ذكـر اسـتحباب وضـع اليد علـى الـرأس بعنـوان التحيـة أو الاحتـرام كمـا ذكـر أنـه يستحب أن يقوم المؤمن عند ذكر القائم عجـل الله فرجـه، وقـد

أفتى علماؤنا باستحباب الوقـوف كـذلك اعتمـادا علـى روايـة معتبرة أصلها في قصة قراءة دعبل قصيدة (مدارس آيات) علـى الإمام الرضا، فلما وصل إلى:

فلولا الذي أرجوه في اليـوم أو غـد

تقطـع نفـسي إثـرهم حـسرات

خروج إمام لا محالة خــــارج يقوم على اسم الله والبركات

وضع الإمام يده على رأسه بنحو التحية وتواضع قائما ودعا له بالفرج[1].. هذا وهو جده الأكبر وإمام مفترض الطاعة!

وأما العلاقة تلك، فيكفيك أن تنظر إلى هذه الفقـرات ومـا فيها من الزخم الـشعوري الهائـل، الـذي لـو كانـت الكلمـات تتحرك لرأيتها تتمايل نشاوى، على وقع تلك العاطفة الـصادقة، مع إمام شاء الله سبحانه وتعالى له، أن يستتر عن أنظارنا إلى يـوم يجمع فيه أمره ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾[2].

إن مضمون هذه الحالة العاطفية مهم، لا مجرد نفـس الحالـة، فإنه يمكن أن تجد عاشقا هائما على وجهه، غارقا في بحر خيالـه، لكن عندما تفتش عن مضمون تلك الحالة، وما الذي يبعث هذا العاشق على تلك الممارسة، ستجد الأمر ينتهي إلى فقـدان لـذة، أو ضياع رغبة، وهي تعود إلى الذات في أسوأ صورها..

بينما هنا يتحرق المؤمن لا من أجـل ذاتـه بـل لكـي يظهـر

---

(١)الغدير ٣٦٢/٢.

(٢)سورة الأحزاب الآية ٣٨.

إمامه وينتصر دينه، وتتغير أحوال البشر على أثر ذلك «متى ترانا ونراك وقد نشرت لواء النصر تُرى؟ أترانا نحف بك وأنت تؤم الملأ وقد ملأت الأرض عدلا؟» فالغرض هو الملأ: الجمهور العام، والأرض وليس جهة دون جهة منها أن تمتلئ بالعدالة والإنصاف!

إن الداعي هنا يرغب في أن يقاتل، وأن يستشهد بين يدي الإمام من أجل القيم الحقة، ومن أجل صلاح حال البشر فأين هذه العاطفة وأين سائر الحالات العاطفية الذاتية أو الشهوية؟

وحيث أن الكلمات هي تعرب عن نفسها، وهي من أرباب البلاغة وفرسان الفصاحة، سأتركك عزيزي القارئ من غير وسيط لكي تتأمل مباشرة في هذه الفقرات:

«عزيزٌ عليَّ أن أرى الخلق وأنت لا تُرى، ولا أسمع لك حسيسا ولا نجوى!، عزيزٌ عليَّ أن تحيط بك دوني البلوى، ولا ينالك مني ضجيج ولا شكوى. بنفسي أنت من مغيب لم يخل منا!، بنفسي أنت من نازح ما نزِح عنا!، بنفسي أنت أمنية شائق يتمنى!، من مؤمن ومؤمنة ذَكرا فحنّا، بنفسي أنت من عقيد عز لا يُسامى! بنفسي أنت من أثيل مجد لا يُجارى!، بنفسي أنت من تلاد نعم لا تُضاهى!، بنفسي أنت من نصيف شرف لا يُساوى!. إلى متى أحار فيك يا مولاي، وإلى متى، وأي خطاب أصف فيك وأي نجوى!، عزيز علي أن أجاب دونك وأناغى! عزيز علي أن أبكيك و يخذلك الورى!، عزيز علي أن يجري عليك دونهم ما جرى. هل من معين فأطيل معه العويل والبكاء، هل من جزوع فأساعد جزعه إذا خلا، هل قذيت عين

فساعدهما عيني على القذى، هل إليك يا بن أحمد سبيل فتُلقى، هل يتصل يومنا منك بعِدةٍ فنحظى؟. متى نرد مناهلك الروية فنروى؟، متى ننتقع من عذب مائك فقد طال الصدى؟، متى نغاديك ونراوحك فنقر عينا».

آثار الانتظار للقائد المصلح:

لماذا كان «أحب الأعمال إلى الله عز وجل انتظار الفرج»[1] «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»[2] وكان «أفضل جهاد أمتي»[3] وهو «أفضل أعمال شيعتنا»[4]؟

إن هناك آثارا مهمة تترتب على هذا الانتظار، وبالطبع عندما نتحدث عن الانتظار، لا نتحدث عن أمر سلبي لا فاعلية فيه، فقد تحدثت الروايات عن أن الانتظار عمل، بل هو أفضل الأعمال، وأحب الأعمال، بل هو أفضل الجهاد، وهذا يعني أن الانتظار ليس حالة سلبية، ولا انكفاءً عن العمل، بل هو عمل وهو جهاد..

ولكي يتضح الأمر، نمثل بمثال: فلو كنت تنتظر مدعوا يأتي على الطعام في بيتك، فلا يعقل أن تظل ساكنا ساكتا تنظر إلى الباب، وإنما تقوم في أثناء ذلك بالاستعداد لمجيئه وإحضار الطعام، وتهيئة البيت بما يناسبه، حتى يأتي المدعو أو الضيف

---

(١)روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، كما في الفقيه للصدوق ٤/٣٨٣.
(٢)روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما في عيون أخبار الرضا ٢/٣٥.
(٣)روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما في تحف العقول ٣٧.
(٤)روي عن الإمام الجواد عليه السلام كما في كمال الدين وتمام النعمة ٣٧٧.

وأنت قادر على القيام بالمطلوب منك تجاهه. ولو أن شخصا (انتظر) بغير هذه الطريقة لكان ملوما وموبَّخا.

وعندما تنتظر فرج آل محمد، والمصلح الكوني، فيجب أن تهيئ ما يناسب وصوله، وتعد العدة لذلك حتى إذا جاء وجدت نفسك قادرا على القيام بخدمته. وإذا كان المنتظِر بهذه الصورة قائما بما ينبغي عليه من الأعمال والواجبات فلا يضره إن تأخر الظهور أو تقدم، بل كان في هذه الحالة من الانتظار كمن كان مع إمامه القائم عجل الله فرجه «من مات على منكم على هذا الأمر منتظرا له كان كمن كان فسطاط القائم»[1].

١. الانتظار: اعتراض داخلي على الأوضاع السيئة، ورفض نفسي لكل البني الفاسدة القائمة على أساسها.

انتظار الإمام يمنع الإنسان من التطبيع مع الواقع المنحرف. حيث أن التطبيع النفسي مع واقع الانحراف يكون مقدمة للانجراف معه.

٢. الانتظار يعني إيقاد الأمل في انتصار المظلومين، وغلبة أهل الحق، ودولة المستضعفين.

قد لا يستطيع إنسان أن يغير ما هو فاسد، لغلبة الفساد تارة ولضعف هذا الإنسان ووحدته أخرى.. وهذا ليس مشكلة أصلا، فإنه ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا﴾[2]، لكن المشكلة

---

(١)رواه عن الإمام الصادق عليه السلام العلامة المجلسي في البحار٥٢/١٢٥.

(٢)سورة البقرة الآية ٢٨٦.

الحقيقية عندما يقبل داخليا هذا الوضع الموجود باعتبـاره (نهايـة التاريخ) والقدر الذي لا مهرب عنه.. هنا ينطفـئ نـور الأمـل في قلب هذا الإنسان، ويستسلم لوساوس الشيطان في أن الله لـيس غالبا على أمر خلقه! وأن ما أراده الله لم يتحقق وما أراده أعـداء الله هو الواقع المعاش!!

هنا يأتي دور انتظار الفرج باعتباره الأمل بواقع «يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلمـا وجـورا»! والأثـر النفـسي لهـذه الحالة أثر مهم في الاستمرار على الطاعة ورجاء الفوز وربما لهـذه الجهة فقد عد «انتظار الفرج من الفرج»[1] أيضا، يعني أن نفس الانتظار هو فرج.

الانتظار نظر للمستقبل، واستفادة من الحاضر لصناعة ذلك المستقبل.. وهذا ما يميز مذهب أهل البيت، أنهم لا يُستغرقون في الماضي.. وإنما حتى حين ينظرون إلى الماضـي ومآسـيه ومـشاكله فإنما لكي يشعلوا نورا للمستقبل، ويتطلعون بشغف إليه.

وينبغي أن نشير هنـا إلى الفـرق بـين الحالـة الـسلفية الـتي تقدس الماضي لأنه ماض ، وتعيش فيه وتعتـبره الـصورة المثاليـة للحياة الدينيـة ، فتـرفض ـ بالتـالي ـ كـل المنجـزات الإنـسانية وتُستغرق في زمن ولّى ، وبين الحالة الـتي تعلـق الاهتمـام علـى المستقبل، وتحرك باتجاهه ليعـيش الإنـسان معادلاتـه وتعتقـد أن الزمان في سير تصاعدي إلى مستقبل أفـضل . بـين فكـرة تـرى

(١)رواه شيخ الطائفة الطوسي قدس سره في كتابه الغيبة ص٤٥٩ عن الإمام الكاظم عليه السلام.

الزمان كلما رجع كان أحسن وأخرى ترى الحضارة في المستقبل ، وأن الزمان كلما تقدم فسيسعد الإنسان ، وتمتلئ الأرض بخيرات العدل وبركات القسط .

٣. انتظار المؤمن للإمام مع اعتقاده بوجود الإمام ورقابته يجعله يراقب سلوكه وتصرفاته فينبعث[١] عن الخير وللخير.

الانتظار لشخص يعلم أنه موجود وحاضر بالشخص لكن غائب بالعنوان يجعل الإنسان يعمل عملا صالحا كونه تحت الرقابة، والإمام هنا أشبه بالقلب المختفي في داخل البدن لكن تأثيره حاضر..

٤. انتظار الإمام عليه السلام وتوخي تطبيق أوامره، وتوجيهات آبائه الطاهرين، يجعل الإنسان في حالة جهاد مضاعف، والتزام أكيد، فإن التزام إنسان بمنهج، إذا كان ذلك المنهج في حالة استتار ومطاردة أهم من التزامه به لو كان المنهج منتصرا وقويا، ولذلك فقد ذكرت الروايات أن العبادة والالتزام الديني في دولة الاستتار أكثر ثوابا من العبادة في دولة الظهور[٢].

الانتظار تعبير آخر عن الجهة المقابلة لليأس من روح الله.. وهو الاعتقاد بتحقق وعد الله في أنه يمن على الذين استضعفوا

---

(١)أشرنا مرارا إلى أن المقصود من ذلك هو أن هذا الأمر فيه قابلية البعث والتحريك، إذا لم توجد الموانع، تماما كما هو الحال بالنسبة للقرآن والتوجيهات الدينية، فإن فيها قابلية أن تحرك، والصلاة فيها قابلية أن تنهى عن الفحشاء والمنكر، ما لم يكن هناك مانع يمنع تأثيرها.

(٢)عن الإمام الصادق عليه السلام كما رواه في البحار ١٢٧/٥٢.

وأنه يجعلهم أئمة.. وعده في أن الأرض يرثها عباده الصالحون..

انتظار الفرج يعني التفكير في أن صلاحا عاما سيحدث بالنسبة للبشر، ويتمنى هذا المنتظر أن يكون جزءا من صانعيه والقائمين به.

سيكون في العالم دولة الانصاف والعدل، البعيدة عن الاستكبار والتزييف..

الأديان السماوية تصنع الإنسان المنتظر، لكن فهمنا عن الانتظار يختلف، فتارة يكون سلبيا وأخرى يكون فاعلا.

ولقد اطلعت على كلام للأستاذ محمد رضا الحكيمي في كتابه (خورشيد مغرب)، آثرت أن أضعه بين يدي القراء الأكارم، لما فيه من الفائدة، فقد قال (ما مختصر تعريبه):

«إن للإنتظار أبعادا عقائدية مهمة:

ـ ففي بُعد التوحيد، يجعل الانتظار الإنسان متوجها لله الواحد الأحد الذي هو صاحب القدرة المطلقة، ومنه ـ لا من أحد سواه ـ يطلب الفرج وتعجيل الظهور وتغيير الفساد.

ـ وفي بعد النبوة: الانتظار للإمام هو تجديد للعلاقة مع الأنبياء العظام إذ قد وردت الروايات بأن صاحب هذا الأمر فيه شبه من آدم وشبه من نوح وشبه من إبراهيم ومن موسى ومن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وأنه من أراد النظر إليهم فلينظر إليه.

ـ وفي البعد القرآني: فإن الانتظار يعني الأمل بحكومة القرآن على العالم، حيث يحيي المهدي عجل الله فرجه ما أمات الظالمون

من حكم القرآن. وتصديق بمواعيده للذين آمنوا ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[1].

ـ وفي بعد الإمامة: فإن الانتظار للمهدي الذي هو خاتم الأئمة الأوصياء، أولئك الذين ذكروه وبشروا به، وهيئوا الناس لانتظار فرجه، هو تأكيد على أصل الإمامة.

ـ وفي بعد العدل: كذلك حيث أن انتظار الظهور هو انتظار سيادة العدل والقسط، بعدما ساد الظلم والانحراف.

ـ والمعاد: حيث يذكر انتظار المهدي وظهوره، بيوم العدل الإلهي في المعاد، حيث يُجازى الظالمون والمستكبرون ويتم إحقاق حق المؤمنين، كما أن ظهوره هو إيذان بالبعث النهائي، فإن هذا لا يتم إلا بعد الظهور، وأنه لو لم يبق إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يُظهر خليفته وحجته»

---

(١)سورة النور الآية٥٥.

# ملحقات

## الحجة في ولادة الحجة

بنفسي أنت من مغيب لم يخلُ منا، بنفسي أنت من نازح ما نزح عنا، بنفسي أنت أمنية شائق يتمنى من مؤمنة ومؤمنة ذكرا فحنا.

• هذه الفقرة جزء من الدعاء الشريف (الندبة) يربي الداعي على التعامل مع صاحب العصر والزمان، باعتباره حاضرا وناظرا، فهو مغيب لكنه لم يخل من المحيط، وهو نازح لكن ما نزح نهائيا. وهي تستبطن الرد على نظرية سائدة لدي قسم من المسلمين تقول بعدم وجود (وولادة) المهدي عجل الله فرجه الشريف.

ذلك أن المسلمين ـ في غالبيتهم المطلقة ـ يتفقون في قضية المهدي على أنه من أبناء رسول الله ﷺ، وأنه يظهر في آخر الزمان، وأنه يملأ الأرض قسطا وعدلا.

ويختلفون في أنه هل ولد وهو حي باق كما عليه شيعة أهل البيت، أو أنه لم يولد وإنما يولد في آخر الزمان كما عليه أكثرية علماء السنة.

ويمكن الاستدلال على ولادته بنحوين:

استدلال مباشر، وآخر غير مباشر.

وقبل الورود إلى أصل البحث نشير إلى أن مسألة ثبوت ولادة شخص لأبويه، مسألة فقهية تم طرحها في كتب فقهاء المسلمين، وقد ذكر الأكثر هناك أنه يكتفى بشهادة القابلة التي (قبّلت) وولّدت الأم. فإذا شهدت القابلة بالولادة كفى وترتب عليها آثار النسب والميراث، وغير ذلك. وقد احتاط بعض العلماء بضم شهادة أخرى أو اعتراف الأب بذلك.

ولهذا نتعجب كيف تخلفوا عن الحكم في هذه القضية على وفق المسألة تلك مع وجود الروايات الصحيحة الواردة عن اعتراف الإمام الحسن العسكري بولادة ابنه الخلف الحجة متعددة. وكذلك نقل حكيمة عمة الإمام العسكري لتفاصيل الولادة المعروفة في ليلة النصف من شعبان..

أما الطريق غير المباشر: فإن التأمل في أحاديث أن «المهدي هو التاسع من ولد الحسين عليه السلام يفيد بالملازمة أن يكون موجودا ومولودا بعد الثامن من ولد الحسين بلا فصل، وهو أبوه العسكري، فلو لم يكن مولودا حينها، وولد في آخر الزمان لما كان التاسع بل قد يكون السبعين أو التسعين أو المائة بحسب بعد الزمان وقربه، مثلما نجد الآن بعض السادة بينهم وبين الحسين مثلا عشرون واسطة أو أكثر.

ومثل ذلك التأمل في حديث الثقلين الذي رواه علماء الفريقين، فإنه قد صرح في نهايته بأنهما «لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»فلو لم يكن مولودا بعد أبيه وموجودا الآن لحصل الافتراق، ففي زمان أمير المؤمنين علي كان الثقلان مجتمعين وبعده كذلك إلى زمان الحسن العسكري، وبعد ذلك إما أن

يكون إمام موجود فيبقى الاجتماع بين الثقلين أو لا، فيحصل الافتراق وقد صرح النبي بعدم الافتراق بينهما.

وأما الطريق المباشر: فيعتمد فيه على العناصر التالية:

١. شهادة أبيه بولادته كما في رواية صحيحة عن أبي هاشم الجعفري عن العسكري عليه السلام أنه سأله هل لك من ولد؟ قال: نعم، قال: فإن حدث بك حدث أين أسأل عنه؟ قال: بالمدينة. (مع ملاحظة الاتفاق على أن الإمام ليس له غير ولد واحد هو المهدي، ومع ملاحظة أن طريقة السؤال بمثل: إن حدث بك حدث تشير إلى الإمام التالي).

وكذلك شهادة حكيمة عمة الإمام و(قابلة) نرجس في ولادتها بالمهدي.

٢. شهادة الذين رأوه: فإن من يرى شخصا ويشهد بعد ذلك بوجوده يقطع الطريق على تمحل المتمحلين وتكلف المشككين، والملاحظ في هذا أن الناس يقبلون إخبار شخص واحد بولادة ولد لفلان وأنه قد رآه، وفي موضوعنا فقد ذكر بعض المحققين أن الروايات التي يستفاد منها رؤية أقسام من الناس للإمام (سواء أيام أبيه أو في الغيبة الصغرى) تصل إلى (٢١٣) رواية.

وبالنظر إلى قسم من هذه الروايات يستطيع المرء أن يجمع ما يقارب من (١٢٥) شخصا بأسمائهم أو عناوينهم ممن رأى الإمام عليه السلام فكيف يقبل في سائر القضايا رؤية واحد وإخباره ولا يقبل في هذه القضية هذا العدد الكبير؟

٣. شهادة علماء الأنساب: علماء الأنساب في تلك الأزمنة هم بمثابة (دوائر الأحوال الشخصية) في هذا الزمان، وتصريحهم بانتساب أحد إلى أحد أو بولادته يعتمد عليه المحققون ويبنون عليه. وقد ذكر النسابون ولادة الإمام المهدي إما تصريحا كما هو الأكثر أو تلويحا عند الحديث عن موضوع آخر:

فمن ذلك ما ذكره سهل البخاري في سر السلسلة العلوية: «كان موجودا في سنة ٣٤١ هـ أي كان معاصرا للغيبة الصغرى» أثناء حديثه عن جعفر الكذاب ، وأنه إنما سمي بذلك «لادعائه ميراث أخيه الحسن عليه السلام دون ابنه القائم الحجة عليه السلام لا طعنا في نسبه».

ومنهم النسابة العمري في المجدي في أنساب الطالبيين (وقد توفي بعد سنة ٤٠٠ هـ) فإنه قال: ومات أبو محمد عليه السلام وولده من نرجس عليها السلام معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك، وامتُحن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته، وشرِه جعفر بن علي إلى مال أخيه وحاله فدفع أنْ يكون له ولد (أي أنكر)، وأعانه بعض الفراعنة على قبض جواري أخيه.

وغير هؤلاء مما لا يتسع المقام لشرحه

٤. المؤرخون وكتاب السيرة: فقد ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في حوادث سنة ٢٦٠ هـ وفيها توفي الحسن العسكري وهو والد محمد الذي تعتقد الإمامية أنه المنتظر. كما ذكر ابن خلكان ترجمة له وقال إنه ولد سنة ٢٥٠ هـ ثم غدا يناقش قول بعض

المؤرخين الآخرين القائلين بولادته سنة ٢٥٦ هـ ويقوي رأيه. ومنهم الذهبي في كتابه العبر في خبر من غبر حيث صرح بولادته سنة ٢٥٦ هـ وقال إنه الذي تعتقد (الرافضة) أنه المهدي والقائم..

كما أن عددا من علماء السنة الكبار أيضا صرحوا به مثل:

- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول لمحمد بن طلحة الشافعي وضع فيه بابا في أب القاسم محمد بن الحسن الخالص بن علي بن محمد بن علي بن موسى.. وقال: أما مولده فبسر من رأى في سنة ٢٥٨. ثم رد الشبهات القائلة بأنه ليس المقصود من أحاديث الرسول.

- البيان في أخبار صاحب الزمان وكفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لمحمد بن يوسف الكنجي الشافعي، ففي الأول ذكر: باب في الأدلة على كون المهدي حيا باقيا منذ غيبته إلى الآن، وفي كفاية الطالب ذكر في أولاد الإمام الحسن العسكري: ابنه محمد وهو الإمام المنتظر ولادته سنة كذا.

- الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي: الفصل الثاني عشر في ذكر أبي القاسم الحجة الخلف الصالح ابن الحسن الخالص وهو الإمام الثاني عشر: دلائل إمامته وذكر طرف من أخباره وغيبته ومدة قيام دولته. أما أبوه فالحسن وأما أمه فنرجس.

- تذكرة خواص الامة في معرفة الأئمة لسبط ابن الجوزي: قال في ذكر أولاد الحسن العسكري محمد الإمام وهو الخلف الحجة وصاحب الزمان والمنتظر وآخر الأئمة.

- شواهد النبوة لعبد الرحمن الجامي (فارسي) روى خبر ولادة الإمام المهدي كما ترويها المصادر الشيعية عن حكيمة عمة الإمام عليه السلام.

٥. آثار الإمام عليه السلام: من كتب ووصايا ورسائل وأدعية، وقد جمعت في كتاب ضخم[1]، وهي كسائر كلمات أهل البيت عليهم السلام فيها من علو المضامين ما فيها من متانة العبادة، وبلاغة الألفاظ. وهكذا أجوبة متنوعة في مسائل فقهية وعقائدية، بل وشخصية أيضا.

٦. وكلاؤه وسفراؤه ونوابه، سواء أولئك الذين كانت لهم النيابة العامة مثل السفراء الأربعة أو الوكلاء الآخرين الذين انتشروا في مختلف نقاط العالم الإسلامي. وهؤلاء كانوا معروفين بالعلم الكثير والتقوى والورع وكانوا نقطة الاتصال والارتباط بين الإمام وبين شيعته. وإخبارهم الناس برؤيته، وجلبهم أجوبة الإمام للسائلين في مختلف الفنون والعلوم، بل بعضها الشخصي الخاص، الذي لا يتيسر معرفته إلا لمن اتصل بالله بنحو خاص، فمن يعرف ـ غير المعصوم ـ أن فلانا يرزق غلاما عالما ومن جارية ديلمية بالتحديد ولم يكن له زوجة ديلمية حينئذ، بينما

---

(١)جمع جانبا منها الشيخ جواد القيومي في كتابه (صحيفة المهدي) في ٣٨٠ صفحة. واستقصى شيئا كثيرا منها الشيخ علي الكوراني في كتاب : معجم أحاديث الإمام المهدي .

بالنسبة للآخر لا سبيل إلى ذلك كما في قصة والد الشيخ الصدوق[1].

(١)كما ذكر ذلك غير واحد في ترجمته، وحاصلها: كما في كتاب الإمامة والتبصرة ـ ص ١٦٤: أن والد الشيخ الصدوق قدم ـ قدس الله روحه ـ العراق واجتمع مع أبي القاسم الحسين بن روح رحمه الله، وسأله مسائل ثم كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر بن الأسود يسأله أن يوصل له رقعة إلى الصاحب (صاحب الزمان) عليه السلام ويسأله فيها الولد، فكتب — عليه السلام ـ إليه: قد دعونا الله لك بذلك، وسترزق ولدين ذكرين خيرين، فولد له أبو جعفر وأبو عبد الله من أم ولد، وكان أبو عبد الله الحسين بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر يقول: أنا ولدت بدعوة صاحب الامر — عليه السلام ـ ويفتخر بذلك ويضيف الصدوق عن أبي جعفر محمد بن علي الأسود بقوله: وسألته في أمر نفسي أن يدعو الله لي أن يرزقني ولدا ذكرا، فلم يجبني إليه، وقال: ليس إلى هذا سبيل فولد لعلي بن الحسين رضي الله عنه ابنه محمد بن علي وبعده أولاد ولم يولد لي شيء. قال مصنف هذا الكتاب: كان ابو جعفر محمد بن علي الأسود كثيرا ما يقول لي ـ إذا رآني أختلف إلى مجلس شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه و أرغب في كتب العلم وحفظه ـ: ليس بعجب أن تكون لك هذه الرغبة في العلم و أنت ولدت بدعاء الإمام عليه السلام. أما الشيخ الطوسي، فيروي عن مشايخه عن ابن نوح باسناده عن مشايخ أهل قم أن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه كانت تحته بنت عمه محمد بن موسى بن بابويه، فلم يرزق منها ولدا، فكتب إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه أن يسأل الحضرة أن يدعو الله أن يرزقه أولادا فقهاء، فجاء الجواب: «إنك لا ترزق من هذه وستملك جارية ديلمية وترزق منها ولدين فقيهين».

## إحياء ليلة النصف من شعبان

بالرغم أن كل الأزمنة والأماكن والأفراد والأشياء هي مخلوقة لله سبحانه ويفترض أنها على حد واحد في هذه الجهة، إلا أننا نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى ﴿يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾(١) ولذا فإنه قد ﴿اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٢) واصطفى من الأراضي مكانا هو﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾(٣) فصار محجة أولياء الله وعباده الصالحين، واصطفى من الأشياء حجرا فصار الحجر الأسود، وبيتا مبنيا فصار ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾(٤).

وكذلك اصطفى من الأزمنة أوقات معينة، فصار ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾(٥) وصارت ليلة واحدة فيه هي ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾(٦).

---

(١)سورة الحج الآية ٧٥.
(٢)سورة آل عمران الآية ٣٣.
(٣)سورة إبراهيم الآية ٣٧.
(٤)سورة آل عمران الآية ٩٦.
(٥)سورة البقرة الآية ١٨٥.
(٦)سورة القدر الآية ٣.

ويتحدث العلماء عن أن هذا الاصطفاء سواء للأشياء أو الأفراد، للأمكنة أو الأزمنة، لم يكن اعتباطا وإنما لجهات من الحكمة..ولا يهمنا الآن كيفية توجيه ذلك، وإنما نتحدث في الموضوع بصورة كلية.

ومن الليالي التي يستفاد من الروايات، جلالة شأنها وعظمة منزلتها ليلة النصف من شعبان والتي ترتبط في سياقها التاريخي بتاريخ مولد الإمام المنتظر محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه في فجر يومها المبارك.

وقد جرت العادة في كثير من مناطق شيعة أهل البيت عليهم السلام أن تتم الاحتفالات وإظهار الفرح والسرور بهذا الميلاد المبارك، انطلاقا من استحباب الشعائر الدينية، وترسيخ الحالة الإيمانية في المجتمع من خلال مثل هذه المناسبات.

ونحن نشير هنا إلى أنه بالإضافة إلى ذلك الجانب المهم (الشعائري) فإنه يوجد جانب عبادي على قدر كبير من الأهمية لهذه الليلة، وينبغي أن لا يغفل عنه المؤمنون لكي يحظوا بعطائه الثر.

ونعيد إلى الذاكرة هنا ما سبق أن قرأناه في أول هذا الكتاب من دور الدعاء التربوي، سواء في جوانبه النفسية أو الفكرية والمعرفية. فإن هذه الليلة تعتبر من تلك الأزمنة التي تحقق ـ مع التأمل في مضامين أدعيتها وأعمالها ـ تلك الأهداف الدينية السابقة.

ويظهر من طريقة المعصومين عليهم السلام اهتماما بالغا بأمر العبادة في هذه الليلة، فحري بالمؤمن أن يقتدي بهم.

**رسول الله وليلة النصف**

فإنه يروي الشيخ في مصباح المتهجد عن حماد بن عيسى عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لما كان ليلة النصف من شعبان، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند عائشة فلما انتصف الليل قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن فراشها، فلما انتبهت وجدت رسول الله قد قام عن فراشها فدخلها ما يتداخل النساء وظنت أنه قد قام إلى بعض نسائه فقامت وتلففت بشملتها وأيم الله ما كان قزا ولا كتانا ولا قطنا ولكن كان سداه شعرا ولحمته أوبار الإبل، فقامت تطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجر نسائه حجرة حجرة فبينا هي كذلك إذ نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساجدا كثوب متلبط على وجه الأرض فدنت منه قريبا فسمعته في سجوده وهو يقول: سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي، هذه يداي وما جنيته على نفسي يا عظيم تُرجى لكل عظيم اغفر لي العظيم فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم.

ثم رفع رأسه ثم عاد ساجدا. فسمعته يقول: أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السموات والأرضون، وانكشفت له الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين من فجأة نقمتك ومن تحويل عافيتك ومن زوال نعمتك، اللهم ارزقني قلبا تقيا نقيا ومن الشرك بريئا لا كافرا ولا شقيا.

ثم عفّر خديه في التراب فقال: عفرت وجهي في التراب وحق لي أن أسجد لك. فلما هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالانصراف، هرولت إلى فراشها فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فراشها فإذا لها نفس

عال، فقال لها رسول الله: ما هذا النفس العالي؟ أما تعلمين أي ليلة هذه؟ هذه ليلة النصف من شعبان، فيها تقسم الأرزاق وفيها تكتب الآجال وفيها يكتب وفد الحاج وإن الله تعالى ليغفر في هذه الليلة من خلقه أكثر من عدد شعر معزى كلب).

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يعجبه أن يفرغ(١) نفسه للعبادة أربع ليال في السنة.. منها ليلة النصف من شعبان.

وروي أن كميل بن زياد النخعي رأى أمير المؤمنين عليه السلام ساجدا ليلة النصف من شعبان وهو يقرأ دعاء الخضر الذي عرف فيما بعد بنسبته إلى راويه عن الإمام بـ (دعاء كميل).

وأما زين العابدين عليه السلام فقد كان يحييها ويجمع أولاده في ذلك كما روى الشهيد زيد بن علي بن الحسين قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يجمعنا جميعا ليلة النصف من شعبان، ثم يجزئ الليل أجزاء ثلثا فيصلي بنا جزء، ثم يدعو ونؤمن على دعائه، ثم يستغفر الله ونستغفره ونسأله الجنة حتى ينفجر الصبح.

وروى أبو يحيى عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: سئل الباقر عليه السلام عن فضل ليلة النصف من شعبان فقال: هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر، فيها يمنح الله العباد فضله ويغفر لهم بمنه، فاجتهدوا في القربة إلى الله تعالى فيها، فإنها ليلة آلى الله عز وجل على نفسه لا يرد سائلا فيها ما لم يسأل الله معصية.

وقد ذكر أن فيها من المستحبات صلوات متعددة قد ذكرت

(١)بالطبع هذا يكون زائدا على ما هو الحالة العادية عنده من التفرغ لعبادة ربه.

كيفياتها في كتب الأدعية المفصلة، كما أن من مستحباتها زيارة الإمام الحسين عليه السلام، قصدا إلى قبره وضريحه والمبيت هناك في كربلاء فقد وذكر أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه رحمه الله في كتاب الزيارات أنه: روى سالم بن عبد الرحمن عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من بات ليلة النصف من شعبان بأرض كربلاء، وقرأ ألف مرة قل هو الله أحد، واستغفر الله ألف مرة، ويحمده تعالى ألف مرة، ثم يقوم فيصلي أربع ركعات يقرأ في كل ركعة ألف مرة آية الكرسي، وكل الله به ملكين يحفظانه من كل سوء ومن شر كل شيطان وسلطان، ويكتبان له حسناته، ولا تكتب عليه سيئة، ويستغفران له مادامنا معه.

ومع عدم إمكانه فيستحب له أن يزور الإمام الحسين من مكانه الذي هو فيه، وقد وردت زيارة خاصة لليلة النصف من شعبان.

كما يستحب زيارة الإمام الحجة عجل الله فرجه حيث ولد في فجرها، فوافق فجرها فجر ولادته عليه السلام، ويستحب الدعاء له بتعجيل الفرج وظهور الأمر ونتبرك بذكره هنا:

«اللهم! بحق ليلتنا ومولودها وحجتك وموعودها التي قرنت إلى فضلها فضلا فتمت كلمتك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماتك ولا معقب لآياتك. نورك المتألق وضياؤك المشرق والعلَم النور في طخياء الديجور الغائب المستور جل مولده وكرم محتده والملائكة شهده والله ناصره ومؤيده إذا آن ميعاده والملائكة أمداده، سيف الله الذي لا ينبو ونوره الذي لا يخبو وذو الحلم الذي لا يصبو مدار الدهر ونواميس العصر وولاة الأمر والمنزل

عليهم ما يتنزل في ليلة القدر وأصحاب الحشر والنشر تراجمة وحيه وولاة أمره ونهيه، اللهم! فصل على خاتمهم وقائمهم المستور عن عوالمهم وأدرك بنا أيامه وظهوره وقيامه واجعلنا من أنصاره واقرن ثأرنا بثأره واكتبنا في أعوانه وخلصائه وأحينا في دولته ناعمين وبصحبته غانمين وبحقه قائمين ومن السوء سالمين يا أرحم الراحمين! والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى أهل بيته الصادقين وعترته الناطقين، والعن جميع الظالمين واحكم بيننا وبينهم يا أحكم الحاكمين»[1].

(١)يراجع مصباح المتهجد للشيخ الطوسي في مواضع متفرقة.

## نص دعاء الندبة

اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك، الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزهد في زخارف هذه الدنيا الدنية وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به. فقبلتهم وقربتهم، وقدمت لهم الذكر العلي والثناء الجلي، واهبطت عليهم ملائكتك، وكرمتهم بوحيك، ورفدتهم بعلمك، وجعلتهم الذريعة إليك، والوسيلة إلى رضوانك. فبعض أسكنته جنتك إلى أن أخرجته منها، وبعض حملته في فلكك ونجيته ومن آمن معه من الهلكة برحمتك، وبعض اتخذته خليلا، وسألك لسان صدق في الآخرين فأجبته، وجعلت ذلك عليا وبعض كلمته من شجرة تكليما، وجعلت له من أخيه ردءا ووزيرا، وبعض أولدته من غير أب، وآتيته البينات وأيدته بروح القدس. وكلا شرعت له شريعة، ونهجت منهاجا، وتخيرت له أوصياء، مستحفظا بعد مستحفظ، من مدة إلى مدة، إقامة لدينك، وحجة على عبادك، ولئلا يزول الحق عن مقره، ويغلب الباطل على أهله، ولا يقول أحد لولا أرسلت إلينا رسولا منذرا، فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى. إلى أن انتهيت بالأمر إلى حبيبك ونجيبك محمد ﷺ، فكان كما انتجبته سيد من خلقته، وصفوة

من اصطفيته، وأفضل من اجتبيته، وأكرم من اعتمدته. قدمته على أنبيائك، وبعثته إلى الثقلين من عبادك، وأوطأته مشارقك ومغاربك، وسخرت له البراق، وعرجت به إلى سمائك، وأودعته علم ما يكون إلى انقضاء خلقك. ثم نصرته بالرعب، وحففته بجبرائيل وميكائيل والمسومين من ملائكتك، ووعدته أن تظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. وذلك بعد أن بوأته مبوء صدق من أهله، وجعلت له ولهم ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾[1] وقلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2]. ثم جعلت أجر محمد صلواتك عليه وآله مودتهم في كتابك، فقلت: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ وقلت: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾، وقلت﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾[3]، فكانوا هم السبيل إليك، والمسلك إلى رضوانك. فلما انقضت أيامه أقام وليه علي بن أبي طالب صلواتك عليهما وآلهما هاديا، إذ كان هو المنذر ولكل قوم هاد، فقال والملأ إمامه: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وقال: من كنت أنا وليه فعلي أميره، وقال: أنا وعلي من شجرة واحدة وسائر الناس من أشجار شتى. وأحله محل هارون من موسى، فقال: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا

---

(١)سورة آل عمران الآية ٩٦ـ٩٧.
(٢)سورة الأحزاب الآية ٣٣.
(٣)سورة الفرقان الآية ٥٧.

أنه لا نبي بعدي، وزوجه ابنته سيدة نساء العالمين، وأحل لـه مـن مسجده ما حـل لـه، وسـد الأبـواب إلا بابـه. ثم أودعـه علمـه وحكمته، فقال: أنا مدينة العلم وعلي بابهـا، فمـن أراد الحكمـة فليأتها من بابها، ثم قال له: أنت أخي ووصيي ووارثي، لحمك من لحمي، ودمك مـن دمـي، وسـلمك سـلمي، وحربـك حـربي، والإيمان مخالط لحمك ودمك، كما خـالط لحمـي ودمـي، وأنـت غدا على الحوض معـي، وأنـت خلـيفتي، وأنـت تقـضي ديـني وتنجز عداتي، وشيعتك على منابر مـن نـور مبيـضة وجـوههم حولي في الجنة وهم جيراني، ولولا أنت يا علي لم يعرف المؤمنـون بعدي. فكان بعده هدى من الضلالة، ونورا من العمـى، وحبـل الله المتين وصراطه المستقيم، لا يسبق بقرابة في رحم، ولا بسابقة في دين، ولا يلحق في منقبة من مناقبه، يحذو حذو الرسول صلى الله عليهما وآلهما، ويقاتل على التأويل، ولا تأخـذه في الله لومـة لائم. قد وتر فيه صناديد العرب، وقتل أبطالهم، وناهش ذؤبانهم، وأودع قلوبهم أحقادا بدرية وخيبرية وحنينية وغيرهن، فأضـبت علـى عداوتـه، وأكبـت علـى منابذتـه، حـتى قتـل النـاكثين والقاسطين والمارقين ولما قضى نحبه وقتله أشقى الآخرين، يتبـع أشقى الأولين لم يمتثل أمر الرسول ﷺ في الهادين بعـد الهـادين، والأمة مصرة على مقته، مجمعة على قطيعة رحمه وإقصاء ولـده، إلا القليل ممن وفى لرعاية الحق فيهم. فقتل من قتل، وسـبي مـن سبي، وأقصي من أقصي، وجرى القضاء لهم بما يرجى له حـسن المثوبة، إذ كانت الأرض لله يورثها من يشاء من عبـاده الـصالحين ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، و﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا

---

(١)سورة الأعراف الآية ١٢٨.

لَمَفْعُولاً ﴾[١]، ولن يخلف الله وعده، وهو العزيز الحكيم. فعلى الأطائب من أهل بيت محمد وعلي صلى الله عليهما والهما، فليبك الباكون، وإياهم فليندب النادبون، ولمثلهم فلتذرف الدموع، وليصرخ الصارخون، ويضج الضاجون، ويعج العاجون. أين الحسن أين الحسين، أين أبناء الحسين، صالح بعد صالح، وصادق بعد صادق، أين السبيل بعد السبيل، أين الخيرة بعد الخيرة، أين الشموس الطالعة، أين الأقمار المنيرة، أين الأنجم الزاهرة، أين أعلام الدين وقواعد العلم. أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية، أين المعد لقطع دابر الظلمة، أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج، أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان، أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن، أين المتخير لإعادة الملة والشريعة، أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده، أين محيي معالم الدين وأهله، أين قاصم شوكة المعتدين، أين هادم أبنية الشرك والنفاق. أين مبيد أهل الفسق والعصيان، أين حاصد فروع الغي والشقاق، أين طامس آثار الزيغ والأهواء، أين قاطع حبائل الكذب والافتراء، أين مبيد أهل العناد والمردة، أين معز الأولياء ومذل الأعداء، أين جامع الكلمة على التقوى، أين باب الله الذي منه يؤتى. أين وجه الله الذي إليه تتوجه الأولياء، أين السبب المتصل بين الأرض والسماء، أين صاحب يوم الفتح وناشر راية الهدى، أين مؤلف شمل الصلاح والرضا، أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المقتول بكربلاء. أين المنصور على من اعتدى عليه وافترى، أين المضطر الذي يجاب إذا دعى، أين صدر الخلائق ذو البر والتقوى، أين ابن النبي المصطفى،

(١)سورة الإسراء الآية ١٠٨.

وابن علي المرتضى، وابن خديجة الغراء، وابن فاطمة الكبرى بابي أنت وأمي ونفسي لك الوقاء والحمى، يا بن السادة المقربين يا بن النجباء الأكرمين، يا بن الهداة المهديين، يا بن الخيرة المهذبين، يا بن الغطارفة الانجبين. يا بن الأطائب المطهرين، يا بن الخضارمة المنتجبين، يا بن القماقمة الأكرمين، يا بن البدور المنيرة، يا بن السرج المضيئة، يا بن الشهب الثاقبة، يا بن الأنجم الزاهرة، يا بن السبل الواضحة، يا بن الأعلام اللائحة، يا بن العلوم الكاملة، يا بن السنن المشهورة. يا بن المعالم المأثورة، يا بن المعجزات الموجودة، يا بن الدلائل المشهورة، يا بن الصراط المستقيم، يا بن النبأ العظيم، يا بن من هو في أم الكتاب لدى الله علي حكيم، يا بن الآيات البينات، يا بن الدلائل الظاهرات، يا بن البراهين الباهرات. يا بن الحجج البالغات، يا بن النعم السابغات، يا بن طه والمحكمات، يا بن يس والذاريات، يا بن الطور والعاديات، يا بن من دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، دنوا واقترابا من العلي الأعلى. ليت شعري، أين استقرت بك النوى، بل أي ارض تقلك أو ثرى، أو برضوى أو غيرها من ذي طوى؟ عزيزٌ عليَّ أن أرى الخلق وأنت لا تُرى، ولا أسمع لك حسيسا ولا نجوى!، عزيزٌ عليَّ أن تحيط بك دوني البلوى، ولا ينالك مني ضجيج ولا شكوى. بنفسي أنت من مغيب لم يخل منا!، بنفسي أنت من نازح ما نزح عنا!، بنفسي أنت أمنية شائق يتمنى!، من مؤمن ومؤمنة ذَكرا فحنّا، بنفسي أنت من عقيد عز لا يُسامى! بنفسي أنت من أثيل مجد لا يُجارى!، بنفسي أنت من تلاد نعم لا تُضاهى!، بنفسي أنت من نصيف شرف لا يُساوى!. إلى متى أحار فيك يا مولاي، وإلى متى، وأي

خطاب أصف فيك وأي نجوى!، عزيز علي أن أجاب دونك وأناغى! عزيز علي أن أبكيك و يخذلك الورى!، عزيز علي أن يجري عليك دونهم ما جرى. هل من معين فأطيل معه العويل والبكاء، هل من جزوع فأساعد جزعه إذا خلا، هل قذيت عين فساعدتها عيني على القذى، هل إليك يا بن أحمد سبيل فتُلقى، هل يتصل يومنا منك بعِدةٍ فنحظى؟. متى نرد مناهلك الروية فنروى؟، متى ننتقع من عذب مائك فقد طال الصدى؟، متى نغاديك ونراوحك فتقر عيوننا؟، متى ترانا ونراك و قد نشرت لواء النصر تُرى؟. أترانا نحف بك وأنت تؤم الملأ؟، وقد ملأت الأرض عدلا، وأذقت أعداءك هوانا وعقابا، وأبرت العتاة وجحدة الحق، وقطعت دابر المتكبرين، واجتثثت أصول الظالمين، ونحن نقول الحمد لله رب العالمين!

اللهم أنت كشاف الكرب والبلوى، وإليك استعدي فعندك العَدوى، وأنت رب الآخرة والأولى. فأغث يا غياث المستغيثين، عُبيدك المبتلى، وأره سيده يا شديد القوى، وأزل عنه به الأسى والجوى، وبرد غليله يا من على العرش استوى، ومن إليه الرجعى والمنتهى. اللهم ونحن عبيدك التائقون إلى وليك، المذكر بك وبنبيك، خلقته لنا عصمة وملاذا، وأقمته لنا قواما ومعاذا، وجعلته للمؤمنين منا إماما، فبلغه عنا تحية وسلاما، وزدنا بذلك يا رب إكراما، واجعل مستقره لنا مستقرا ومقاما، وأتمم نعمتك بتقديمك إياه إمامنا، حتى توردنا جنانك ومرافقة الشهداء من خلصائك.

اللهم صل على محمد وال محمد، وصل على محمد جده

رسولك السيد الأكبر، وعلى أبيه السيد الأصغر، وجدته الصديقة الكبرى فاطمة بنت محمد، وعلى من اصطفيت من آبائه البررة، وعليه أفضل وأكمل، وأتم وأدوم، وأكبر وأوفر ما صليت على أحد من أصفيائك وخيرتك من خلقك، وصل عليه صلاة لا غاية لعددها، ولا نهاية لمددها، ولا نفاد لأمدها اللهم وأقم به الحق، وأدحض به الباطل، وأدل به أوليائك، وأذلل به أعدائك، وصل اللهم بيننا وبينه وصلة تؤدي إلى مرافقة سلفه. واجعلنا ممن يأخذ بحجزتهم، ويمكث في ظلهم، وأعنا على تأدية حقوقه إليه، والاجتهاد في طاعته، واجتناب معصيته، وامنن علينا برضاه، وهب لنا رأفته ورحمته، ودعاءه وخيره، ما ننال به سعة من رحمتك، وفوزا عندك، واجعل صلاتنا به مقبولة، وذنوبنا به مغفورة، ودعائنا به مستجابا. واجعل أرزاقنا به مبسوطة، وهمومنا به مكفية، وحوائجنا به مقضية، وأقبل إلينا بوجهك الكريم، واقبل تقربنا إليك، وانظر إلينا نظرة رحيمة، نستكمل بها الكرامة عندك، ثم لا تصرفها عنا بجودك، واسقنا من حوض جده ﷺ، بكأسه وبيده، ريًّا رويا، هنيئا سائغا، لا اظمأ بعدها، يا أرحم الراحمين.

# المحتويات

## للمؤلف

١. طلب العلم فريضة
٢. الهجرة مستقبل أفضل
٣. حجر بن عدي الثائر الشهيد
٤. مفهوم التقية في الإسلام
٥. عن الجهاد والثورة عند أهل البيت
٦. بناء القادة في منهج أهل البيت
٧. الحياة الشخصية عند أهل البيت
٨. نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الإمامية
٩. التشكيك.. كيف واجهه أهل البيت
١٠. رجال حول أهل البيت (١ـ٢)
١١. نساء حول أهل البيت (١ـ ٢)
١٢. من قضايا النهضة الحسينية (١ـ ٣)
١٣. شيعة القطيف والأحساء: عراقة وتطلعات
١٤. تأملات في آية الظهور: دعاء الندبة (بين يديك)

لتلقي ملاحظات القراء الأفاضل واقتراحاتهم:
www.al-saif.net
fawzialsaif@hotmail.com